

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com
قصة
بعث أبي بكر
جيش أسامة
رضي الله عنهما
دراسة دعوية
أ.د. فضل إلهي
دار ابن حزم


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

قِصَّةُ بَعْثِ أبي بَكْرٍ جَيْشَ أُسامةَ

رَضِيَ اللهُ عَنهُما

دراسة دعوية

أ.د. فضل إلهي

دار ابن حزم

الطبعة الثانية
طبعة دار ابن حزم الأولى
١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(١).

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾(٢).

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾(٣).

أما بعـد:

فإنّ في مواقف دعاة الحق دروساً وعبراً وعظات، يجد العاملون في مجال الدعوة إلى الله تعالى فيها نوراً ينير بفضل الله تعالى لهم الطريق، وقوةً تساعدهم على إزالة العوائق والتغلّب على العقبات، وحثّاً على بذل المزيد من الجهود.

ولقد حوى القرآن الكريم جزءاً كبيراً لبيان مواقف دعاة الحق من الأنبياء

---

(١) سورة آل عمران/ الآية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء/ الآية: ١.

(٣) سورة الأحزاب/ الآيتان: ٧٠، ٧١.

والمرسلين والصالحين، وإن خير الصالحين بعد الأنبياء والرسل أصحاب رسولنا الكريم صلوات ربي وسلامه عليه. وإنَّ أفضلهم وأعلاهم وأشرفهم صاحبُ رسولنا الكريم ﷺ في الغار، وخليفته من بعده. ألا وهو سيدنا أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه وأرضاه، وهو الذي قال عنه الرسول الكريم ﷺ: **«لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر، ولكن أخي وصاحبي»**(١).

والذي قال ﷺ عنه وعن عمر رضي الله عنه كذلك: **«اقتدوا بالذَين من بعدي: أَبي بكر وعمر»**(٢).

وشهِدَ له عمر بن الخطاب رضي الله عنهما بقوله: «فأنت سيّدنا وخيرنا وأَحبّـنا إِلى رسول الله ﷺ»(٣).

وقال عنه علي بن أبي طالب رضي الله عنهما لمَّا سأله ابنه محمد بن الحنفية بقوله: «أيّ الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟».

قال رضي الله عنه: «أبو بكر»(٤).

ولسيدنا أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه مواقف جليلة. ومن أهمها وأجلِّها وأكثرها نفعاً وبركة للإسلام والمسلمين بعد وفاة النبي الكريم ﷺ بعثه جيش أُسامة رضي الله عنه. ففي هذا عِبَرٌ عظيمة وعظات جليلة.

وقد عزمت بتوفيق ربي الحي القيوم على بيان بعض تلك العِبَر والعظات

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: **«لو كنت متخذاً خليلاً»**، رقم الحديث ٣٦٥٦ عن ابن عباس رضي الله عنهما، ٧/ ١٧.

(٢) جامع الترمذي، أبواب المناقب، باب، رقم الحديث ٣٩٠٦، ١٠/ ١٠٢. وصحّحه الشيخ الألباني. انظر: صحيح سنن الترمذي ٣/ ٢٠٠.

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: **«لو كنت متخذاً خليلاً»**، رقم الحديث ٣٦٦٨، ٧/ ٢٠.

(٤) انظر: المرجع السابق، رقم الحديث ٣٦٧١، ٧/ ٢٠.

في هذا البحث المتواضع رغبةً في الاستفادةِ والإفادة.

عملي في هذا البحث:

وقد قمتُ بفضل الله تعالى بما يلي في هذا البحث:

١ ـ سجّلت وقائع إنفاذ الصدِّيق جيش أُسامة رضي الله عنهما نقلاً عن المراجع الأَساسية من كتب الحديث والسيرة والتاريخ باختصار وتركيز.

٢ ـ حرّرتُ ست عشرة عبرة وعظة مستفادة من إنفاذ الصدِّيق جيش أُسامة رضي الله عنهما.

٣ ـ سعيتُ إلى تأييد العِبر والعِظات المستنبطة بالكتاب والسنة.

٤ ـ حرصتُ عند إيراد نصوص السنة أَن تكون ثابتة، ونقلتُ حكم العلماء عليها إلاَّ ما نقلتها عن الصحيحين، حيث أَجمعت الأُمة على تلقيهما بالقبول[(١)].

٥ ـ كتبتُ بعض مواقف الصحابة الآخرين رضي الله عنهم لتوضيح العِبَر والعظات المستفادة من هذه القصة إلاَّ أَنني اكتفيت بالإشارة إليها دون إيرادها كاملة غالباً خوفاً من الاستطراد، ولكنني سجلتُ معلومات عن أَماكن وجودها في الهامش، تسهيلاً لمن أَراد الرجوع إليها.

٦ ـ دوّنتُ معلومات وافية عن مراجع البحث في قائمة المصادر والمراجع تسهيلاً لمن رغب في الاستفادة منها.

خطة البحث:

وقد كانت خطة البحث على النحو التالي:

المقدمـــــــة.

المبحث الأول: وقائع إنفاذ أبي بكر الصدِّيق جيش أسامة رضي الله عنهما.

---

(١) انظر: مقدمة النووي لشرحه على صحيح مسلم ص١٤، ونزهة النظر في توضيح نخبة الفكر للحافظ ابن حجر ص٢٩.

المبحث الثاني : العِبَر والعظات المستفادة من إنفاذ الصدِّيق جيش أُسامة رضي الله عنهما .

وقد تضمَّن هذا المبحث ستة عشر مطلباً، وخُصِّص كل مطلب للتحدُّث عن عبرة وعظة .

الخاتمـــــــة : تتضمن نتائج البحث والتوصيات .

الشكــر والدعــاء :

هذا، والحمد لله العليم الحكيم الذي وفّق العبد الضعيف لإعداد هذا البحث، وأَرجو برحمته وكرمه قبولَه، إنَّه سميع مجيب .

وأَسأَل ربي الحي القيوم أن يجزي عني أَبوي الكريمين على اهتمامهما بتربيتي، وبذلهما المستطاع لغرس حب الصحابة رضي الله عنهم في قلبي، ﴿رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ .

والشكر والدُّعاء لصاحبي الفضيلة الأخوين الكريمين الأُستاذ الدكتور زيد بن عبدالكريم الزيد، والدكتور سيد محمد ساداتي الشنقيطي لما استفدت منهما حول هذا البحث .

والدُّعاء بالتوفيق والسداد لزوجتي وأَولادي على حسن مراعاتهم انشغالي في التدريس والتأليف، وقيامهم على خدمتي، وأَسأَل ربي ذا الجلال والإكرام أَن يجعلهم ونساء المسلمين وأَولادهم من الصالحين المصلحين، ويجعلهم جميعاً قرة أَعين لنا، إنَّه سميع مجيب .

وأَسأَل المولى عز وجل أَن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم ويجعله نافعاً مفيداً لي، وللقراء، وللإسلام والمسلمين، إنَّه جواد كريم .

وصلى الله تعالى على نبينا وعلى آله وأَصحابه وأَتباعه وبارك وسلم . وآخر دعوانا أَن الحمد لله رب العالمين .

المبحث الأول
وقائع إنفاذ أبي بكر الصدّيق جيش أسامة رضي الله عنهما

تمهيـــد :

كانت الدولة الرومانية إحدى الدولتين المجاورتين للجزيرة العربية في عهد النبي الكريم ﷺ، وكانت تحتلّ أَجزاء كبيرة من شمال الجزيرة، وكان أُمراء تلك المناطق يُعيَّنون من قِبَلِ الدولة الرومانية وينصاعون لأَوامرها .

بعث النبي الكريم ﷺ الدعاة والبعوث إلى تلك المناطق، كما بعث ﷺ دحية الكلبي رضي الله عنه بكتاب إلى هرقل ملك الروم، يدعوه فيه إلى الإسلام[١]، لكنه وأَصحابه آثروا الدُّنيا على الآخرة، فلم يستجيبوا للدعوة الكريمة، وسعوا إلى الصدِّ عن سبيل الله تعالى .

ففي جمادى الأولى من العام السابع للهجرة بعث النبي الكريم ﷺ جيشاً بقيادة زيد بن حارثة، ثم جعفر بن أَبي طالب، ثم عبدالله بن رواحة رضي الله عنهم إلى الشام . ودارت معركة بمؤتة بين الجيش الإسلامي والجيش المؤلف من الروميين ونصارى العرب . واستشهد هناك الأمراء الثلاثة الأبرار رضي الله عنهم، وتولى قيادة الجيش بعدهم خالد بن الوليد رضي الله عنه الّذي عاد بالجيش إلى المدينة المنورة[٢] .

---

(١) انظر : صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب، رقم الحديث ٧، ٣١ـ٣٢ .

(٢) انظر : المرجع السابق، كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض الشام، ٢/ ٤٦٧ ـ ٤٧٠ . وفتح الباري ٧/ ٥١١، والسيرة النبوية الصحيحة للدكتور أكرم ضياء العمري ٢/ ٤٦٧ـ٤٧٠ .

وفي رجب عام تسع للهجرة خرج رسول الله ﷺ بجيش عازماً قتال الروم[١] وانتهى المسلمون إلى تبوك[٢]، ولم يلقوا جموع الروم ولا القبائل العربية المنصرة، وآثر حكّام المدن الصلح على الجزية[٣]، وعاد الجيش إلى المدينة المنورة بعدما مكثوا عشرين ليلة بتبوك[٤].

تجهيز النبي ﷺ جيش أسامة رضي الله عنه:

وفي أواخر صفر من العام الحادي عشر ندب النبي ﷺ الناسَ لغزوِ الروم بالبلقاء وفلسطين، وفيهم كبار المهاجرين والأنصار، وأمّر عليهم أُسامة رضي الله عنهم[٥]. قال الحافظ ابن حجر: جاء أنه كان تجهيز جيش أُسامة رضي الله عنه يوم السبت قبل موت النبي ﷺ بيومين، وكان ابتداء ذلك قبل مرض النبي ﷺ، فندب الناس لغزو الروم في آخر صفر، ودعا أُسامة رضي الله عنه فقال:

---

(١) انظر: فتح الباري ٨/ ١١١.

(٢) **تبوك**: موقع شمال الحجاز يبعد عن المدينة المنورة ٧٧٨ كيلاً حسب الطريق المعبدة في الوقت الحاضر، وكانت من ديار قضاعة الخاضعة لسلطان الروم آنذاك، وقد سمّاها الرسول ﷺ بتبوك. (السيرة النبوية الصحيحة ص٥٢٤، وانظر كذلك لسبب تسميته: صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي ﷺ، رقم الحديث ١٠(٧٠٦)، ٤/ ١٧٨٤).

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب إذا وادع الإمام ملك القرية هل يكون ذلك لبقيتهم؟، رقم الحديث ٣١٦١، ٦/ ٣٦٦، والسيرة النبوية الصحيحة ٢/ ٥٣٥، والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية للدكتور مهدي رزق الله ص٦٢٩.

(٤) انظر: موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، كتاب المواقيت، باب مدة القصر، رقم الرواية ٥٤٦، ص١٤٥؛ والسيرة النبوية الصحيحة ص٥٣٥.

(٥) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص٦٨٥، والسيرة النبوية الصحيحة ٢/ ٥٥٢.

«سِر إلى موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل، فقد وليتك هذا الجيش»[١].

ردّ النبي ﷺ على من طعن في إمارة أسامة رضي الله عنه:

وطعن بعض الناس في إمارة أُسامة رضي الله عنه، فردّ عليهم رسول الله ﷺ. فقد روى الإمام البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما أَنّ رسول الله ﷺ بعث بعثاً، وأَمّر عليهم أُسامة بن زيد رضي الله عنهما، فطعن الناس في إمارته، فقام رسول الله ﷺ فقال: «**إن تطعنوا في إمارته فقد طعنتم في إمارة أَبيه من قبل، وأَيم الله! إن كان لخليقاً للإمارة، وإن كان لمن أَحب الناس إليّ، وإنَّ هذا لمن أَحبِّ الناس إليَّ بعده**»[٢].

توقف الجيش بالجرف بسبب مرضه ﷺ:

ومرض النبي الكريم ﷺ بعد البدء بتجهيز هذا الجيش بيومين، واشتدّ وجعه عليه الصلاة والسلام، فلم يخرج هذا الجيش وظل معسكراً بالجرف[٣]، ورجع إلى المدينة بعد وفاة النبي الكريم ﷺ[٤].

وتغيّرت الأَحوال مع انتقال الرسول الكريم ﷺ إلى رحمة ربه، وصارت كما تصف أُم المؤمنين عائشة الصدِّيقة رضي الله عنها بقولها: «لمَّا قُبِضَ رسول الله ﷺ ارتدت العرب قاطبة، واشرأبت[٥] النفاق والله! قد نزل

---

(١) فتح الباري ٨/ ١٥٢ باختصار.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد رضي الله عنهما في مرضه الذي توفي فيه، رقم الحديث ٤٤٦٩، ٨/ ١٥٢.

(٣) (**الجرف**): بالضم ثم سكون: موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام. (انظر: معجم البلدان للإمام الحموي ٢/ ١٤٩).

(٤) انظر: فتح الباري ٨/ ١٥٢، والسيرة النبوية الصحيحة ٢/ ٥٥٢، والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص٦٨٥.

(٥) (**واشرأبت**): ارتفعتْ وعلتْ. (انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة (شرب)، ٢/ ٤٥٥).

بي[١] ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها[٢]. وصار أصحاب محمد ﷺ كأنهم معزى[٣] مطيرة في حش[٤] في ليلة مطيرة بأرض مسبعة[٥]»[٦].

أمر الصديق بإتمام بعث أسامة رضي الله عنهما:

واختار المسلمون أبا بكر الصدِّيق رضي الله عنه خليفة لهم، فأمر رضي الله عنه رجلاً في اليوم الثالث من مُتَوفَّىٰ رسول الله ﷺ أَن يُنادي في الناس: «ليُتَمَّ بعث أسامة رضي الله عنه. ألا لا يبيتنَّ في المدينة أحد من جند أسامة رضي الله عنه إلا خرج إلى عسكره بالجرف»[٧].

اقتراح الصحابة بحبس الجيش:

قال لأبي بكر رضي الله عنه الناس: «إنّ هؤلاء جل المسلمين، والعرب ـ كما ترى ـ قد انتفضت بك، فليس ينبغي لك أن تفرق عنك جماعة المسلمين»[٨].

---

(١) (نزل بي): وفي تاريخ خليفة بن خياط: «نزل بأبي» (ص١٠٢).
(٢) (لهاضها): من الهيض بعد الجبر، وهو أشد ما يكون من الكسر. وهاضها: كسرها. (انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة «هيض» ٥/ ٢٨٨).
(٣) (معزى): يقول الجوهري: «المعز من الغنم خلاف الضأن، وهو اسم جنس، وكذلك المعزى». قال سيبويه: «معزى: منون مصروف لأن الألف للإلحاق، لا للتأنيث». وقال الفراء: «المعزى مؤنثة، وبعضهم ذكرها». (انظر: الصحاح، مادة «معز» ٣/ ٨٩٦ باختصار).
(٤) (حش): بستان. (انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة «حشش»، ١/ ٣٨٩).
(٥) (مسبعة): يقول الجوهري: أرض مسبعة: ذات سباع. (الصحاح، مادة «سبع»، ٣/ ١٢٢٧).
(٦) البداية والنهاية ٦/ ٣٤٣ ـ ٣٤٤.
(٧) انظر: تاريخ الطبري ٣/ ٢٢٤.
(٨) انظر: المرجع السابق ٣/ ٢٢٥.

رفض الصديق رضي الله عنه اقتراح الصحابة:

فردّ عليهم أبو بكر رضي الله عنه بقوله: «والذي نفس أبي بكر بيده! لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ. ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته»[١].

استئذان أسامة من الصديق رضي الله عنهما للرجوع إلى المدينة المنورة:

لمّا خرج الجيش إلى معسكرهم بالجرف، وتكاملوا، أرسل أسامةُ عمرَ بن الخطاب رضي الله عنهما، وكان معه في جيشه، إلى أبي بكر رضي الله عنه يستأذنه أن يرجع بالناس، وقال: «إنَّ معي وجوه المسلمين وجلتهم، ولا آمن على خليفة رسول الله ﷺ، وحرم رسول الله ﷺ، والمسلمين أن يتخطفهم المشركون»[٢].

طلب الأنصار بتأمير شخص أقدم سناً من أسامة رضي الله عنه:

وقال من مع أسامة من الأنصار لعمر بن الخطاب رضي الله عنهم: «إنَّ أبا بكر رضي الله عنه خليفة رسول الله ﷺ، ألا فامض، فأبلغه عنا، واطلب إليه أن يولي أمرنا أقدم سناً من أسامة رضي الله عنه»[٣].

رفض الصديق طلبي أسامة والأنصار رضي الله عنهم:

فخرج عمر بأمر أسامة إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنهم، فأخبره بما قال أسامة، فقال: «لو خطفتني الكلاب والذئاب لأنفذته كما أمر به رسول الله ﷺ، ولا أردّ قضاء قضى به رسول الله ﷺ، ولو لم يبق في القرى غيري

---

(١) انظر: تاريخ الطبري ٣/ ٢٢٥.
(٢) انظر: الكامل ٢/ ٢٢٦.
(٣) المرجع السابق ٢/ ٢٢٦.

لأنفذته».

قال عمر رضي الله عنه: «فإنَّ الأنصار تطلب رجلاً أقدم سناً من أسامة رضي الله عنه».

فوثب أبا بكر رضي الله عنه وكان جالساً، وأخذ بلحية عمر رضي الله عنه، وقال: «ثكلتك أمك ياابن الخطاب! استعمله رسول الله ﷺ وتأمرني أن أعزله»[١].

فخرج عمر رضي الله عنه إلى الناس فقالوا: «ما صنعت؟».

فقال: «امضوا ثكلتكم أمهاتكم! ما لقيتُ في سببكم من خليفة رسول الله ﷺ»[٢].

خروج الصديق رضي الله عنه لتشييع الجيش:

ثم خرج أبو بكر الصديق رضي الله عنه حتى أتاهم، فأشخصهم، وشيّعهم، وهو ماش وأسامة راكب، وعبدالرحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر رضي الله عنهم، فقال له أسامة رضي الله عنه: «يا خليفة رسول الله ﷺ! والله! لتركبنّ أو لأنزلنَّ».

فقال: «والله! لا تنزل، ووالله! لا أركب. وما عليَّ أنْ أغبِّر قدميَّ في سبيل الله ساعة، فإنّ للغازي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تُكتب له، وسبعمائة درجة ترتفع له، وتُرفع عنه سبعمائة خطيئة»[٣].

استئذان الصدّيق من أسامة لترك الفاروق رضي الله عنهم معه بالمدينة:

ثم قال الصديق رضي الله عنه لأسامة رضي الله عنه: «إن رأيت تعينني

(١) الكامل ٢/ ٢٢٦.
(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٢٢٦.
(٣) انظر: المرجع السابق ٣/ ٢٢٦.

بعمر رضي الله عنه فافعل».

فأذِن له[١].

وصية الصدّيق رضي الله عنه للجيش:

ثم توجّه الصدِّيق رضي الله عنه إلى الجيش، فقال: «يا أيها الناس! قفوا. أُوصيكم بعشر، فاحفظوها عني:

«لا تخونوا ولا تغلّوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا[٢]، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة؛ وسوف تمرون بأقوام قد فرّغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرّغوا أنفسهم له، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام، فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها. وتلقون أقواماً قد فحصوا[٣] أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب، فأخفقوهم[٤] بالسيف خفقاً. اندفعوا باسم الله. أفناكم الله بالطعن والطاعون»[٥].

وصية الصديق لأسامة رضي الله عنهما:

وأوصى الصدِّيق أسامة رضي الله عنهما أن يفعل ما أمر به النبي الكريم ﷺ

---

(١) انظر: تاريخ الطبري ٣/ ٢٢٦.

(٢) (ولا تمثلوا): جاء في النهاية: «يُقال مثلْتُ بالحيوان أمثُل به مثلاً، إذا قطعت أطرافه وشوَّهت به. ومثلت بالقتيل، إذا جَدَعْت أنفه، أو أذنه، أو مذاكيره، أو شيئاً من أطرافه». (مادة «مثل»، ٤/ ٢٩٤).

(٣) (فحصوا): حلقوا. (انظر: غريب الحديث للحافظ ابن الجوزي، باب الفاء مع الحاء، ٢/ ١٧٨).

(٤) (فأخفقوهم): من (أخفق فلاناً) أي: صرعه. (انظر: المعجم الوسيط للأستاذ إبراهيم مصطفى وزملائه، مادة «أخفق»، ص٢٤٧.

(٥) انظر: تاريخ الطبري ٣/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧.

قائلاً له:

«اصنع ما أمرك به نبي الله ﷺ، ابدأ ببلاد قضاعة، ثم إيت آبل[١]، ولا تقصِّرَنَّ في شيء من أمر رسول الله ﷺ، ولا تعجلنَّ لما خلَّفت عن عهده»[٢].

عودة الجيش سالماً غانماً:

مضى أسامة رضي الله عنه بجيشه، وانتهى إلى ما أمر به النبي ﷺ من بث الخيول في قبائل قضاعة، والغارة على آبل، فسَلِم وغنم[٣]، وكان مسيره ذاهباً وقافلاً أربعين يوماً[٤].

وقدِمَ بنعي رسول الله ﷺ على هِرَقل وإغارة أسامة في ناحية أرضه خبراً واحداً، فقالت الروم: «ما بال هؤلاء يموت صاحبهم ثم أغاروا على أرضنا»[٥].

وقال العرب: «لو لم يكن بهم قوة لما أرسلوا هذا الجيش».

فكفوا عن كثير مما كانوا يريدون أن يفعلوه[٦].

---

(١) (آبل): منطقة في جنوب بلاد الأردن اليوم. (هامش التاريخ الإسلامي للأستاذ محمود شاكر ٣/ ٦٦).
(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٢٢٧.
(٣) انظر: المرجع السابق ٣/ ٢٢٧.
(٤) تاريخ خليفة بن خياط ص١٠١.
(٥) تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم) للحافظ الذهبي ص٢٠.
(٦) الكامل ٢/ ٢٢٧.

المبحث الثاني
العبر والعظات المستفادة من إنفاذ الصديق جيش أسامة رضي الله عنهما

تمهيـــد :

إنّ في إنفاذ أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه جيش أسامة رضي الله عنه عبراً عظيمة وعظات جليلة. سأتحدَّث عن بعض منها بفضل الله تعالى في هذا المبحث تحت العناوين التالية :

أ : الأحوال تتغيّر وتتبدّل .

ب : الشدائد لا تشغل أهل الإيمان عن أمر الدين .

جـ : المسيرة الدعوية لا ترتبط بأحد .

د : وجوب اتباع النبي ﷺ .

هـ : ضرورة المبادرة إلى اتباع النبي الكريم ﷺ .

و : نصر المسلمين وعزهم مرتبط باتباع النبي ﷺ .

ز : لا عصمة لأحد غير النبي الكريم ﷺ .

ح : لا عبرة برأي الأكثرية إذا كان مخالفاً للنص .

ط : حدوث الاختلاف بين المؤمنين الصادقين .

ي : ردّ التنازع إلى الكتاب والسنة .

ك : الخضوع للحق عند سماعه .

ل : لا يُسْتَثْنى من الاحتساب أحد .

م : استخدام الشدة في الاحتساب في بعض الأحوال .

ن : العناية بجعل الدعوة مقرونة بالعمل .

س : مكانة الشباب في خدمة الإسلام .

ع : صورة الجهاد الإسلامي .

وقد خصّصتُ مطلباً مستقلاً لتناول كل عبرة وعظة .

* * * *

المطلب الأول
الأحوال تتغيّر وتتبدّل

من الدروس المستفادة من هذا الحادث أنّ الأحوال لا تبقى على وتيرة واحدة بل هي تتغيّر وتتبدّل. لقد كانت الأحوال قبل انتقال رسول الله ﷺ على عكس ما آلت إليه بعده. فقد كان الإسلام والمسلمون في إقبال وازدهار، ودخل الناس في دين الله أفواجاً كما بشّر بذلك الرب عز وجل في محكم كتابه العزيز بقوله: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ * وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجًا﴾[١]. ففي العام التاسع تواترت وفود العرب مذعنة بالإسلام[٢]، وسمِّي العام بعام الوفود[٣] لكثرة ما وفد على رسول الله ﷺ من وفود. فصار الجيش الإسلامي الذي كان قوامه عشرة آلاف مقاتل في غزوة الفتح، ثلاثين ألف مقاتل في غزوة تبوك قبل أن يمضي على فتح مكة عام كامل. ثم نرى في حجة الوداع بحراً من رجال الإسلام يموج حول رسول الله ﷺ بالتلبية والتكبير والتسبيح والتحميد، تدوي له الآفاق وترتج له الأرجاء[٤].

وبدأت العرب تنظر إلى المدينة بنظر التقدير والإجلال، حتى لم تكن ترى محيصاً عن الاستسلام أمامها، وصارت المدينة عاصمة لجزيرة العرب لا يمكن صرف النظر عنها[٥].

---

(١) سورة النصر/ الآيتان: ١ ـ ٢.
(٢) انظر: جوامع السيرة للإمام ابن حزم ص٢٥٩.
(٣) انظر: السيرة النبوية الصحيحة ص٥٤١.
(٤) انظر: الرحيق المختوم للشيخ صفي الرحمن المباركفوري ص٤٤٤.
(٥) انظر: المرجع السابق ٤٥٤.

ثم تغيّرت الأحوال وتدهورت، وصارت كما روى الإمام الطبري عن هشام بن عروة عن أبيه قال: «لما بويع أبو بكر رضي الله عنه وجمع الأنصار في الأمر الذي تفرّقوا منه، قال: «ليُتمّ بعث أسامة رضي الله عنه»، وقد ارتدت العرب إما عامة أو خاصة في كل قبيلة، ونجم النفاق، واشرأبت[(١)] اليهود والنصارى، والمسلمون كالغنم في الليلة المطيرة الشاتية لفقد نبيهم ﷺ وقلّتهم، وكثرة عددهم، فقال له الناس: «إن هؤلاء جل المسلمين، والعرب ـ على ما ترى ـ قد انتقضت بك، فليس ينبغي لك أن تفرق عنك جماعة المسلمين»[(٢)].

ما أشد التحول وأخطره! وما أسرعه كذلك! سبحان الله الذي يقلّب الأحوال كيفما شاء! ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[(٣)] ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[(٤)]. تأتي وفود العرب مذعنة، منقادة، مطيعة، وبهذه الكثرة حتى سمِّي العام التاسع عام الوفود، ثم تتقلّب الأحوال فيخشى من أن تأتي القبائل العربية للإغارة على المدينة المنورة عاصمة الإسلام، بل قد جاءت للإغارة للقضاء ـ على حسب زعمها الباطل ـ على الإسلام والمسلمين[(٥)].

---

(١) (**اشرأبت**): ارتفعت وعلت (انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر مادة (شرب)، ٢/ ٤٥٥.

(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٢٢٥، وانظر أيضاً: الكامل ٢/ ٢٢٦. وانظر كذلك: البداية والنهاية ٦/ ٣٤٣ ـ ٣٤٤ حيث جاء فيه وصف تلك الحالة على لسان عائشة الصديقة رضي الله عنها، و«السيرة النبوية وأخبار الخلفاء» للإمام أبي حاتم البستي ص٤٢٨، حيث جاء فيه وصف حال الصحابة في تلك الأيام على لسان عمار بن ياسر رضي الله عنهما.

(٣) سورة البروج/ الآية: ١٦.

(٤) سورة الأنبياء/ الآية: ٢٣.

(٥) انظر: تفصيل ذلك في: تاريخ الطبري ٣/ ٢٤٧، وجوامع السيرة ص٣٤٠، والبداية والنهاية ٦/ ٦٥٥.

ولا غرابة في هذا، فإن من سنن الله الثابتة في الأمم أنّ أيامها لا تبقى ثابتة على حالة؛ بل تتغيّر وتتبدّل. وقد أخبر بذلك الذي يقلّب الأيام ويصرِّفها عز وجل بقوله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾(١).

قال الإمام الرازي في تفسيره: «والمعنى أن أيام الدنيا هي دول بين الناس، لا يدوم مسارها ولا مضارها. فيوم يحصل فيه سرور له، والغم لعدوه، ويوم آخر بالعكس من ذلك، ولا يبقى شيء من أحوالها، ولا يستقر أثر من آثارها»(٢).

وجاءت صيغة المضارع (نداولها) للدلالة على تجدّد سنة مداولة الأيام من الأُمم واستمرارها. وفي هذا قال القاضي أبو السعود: «وصيغة المضارع الدالة على التجدّد والاستمرار للإيذان بأن تلك المداولة سنة مسلوكة بين الأمم قاطبة سابقتها ولاحقتها»(٣)

وقد قيل: «الأيام دول والحرب سجال»(٤).

وقال الشاعر:

فيوم لنا ويوم علينا ويوم نُسَاء ويوم نُسَرّ(٥)

فعلى المرء المسلم إذا نزلت به الشدة وألمت به المصيبة أن يصبر، فالنصر مع الصبر، وأن لا ييأس ولا يقنط من رحمة الله تعالى ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(٦). وليتذكر دائماً أنّ الشدة مهما عظمت، والمصيبة

---

(١) سورة آل عمران/ جزء من الآية: ١٤٠.
(٢) التفسير الكبير ٩/ ١٥، وانظر أيضاً: تفسير القرطبي ٤/ ٢١٨.
(٣) تفسير أبي السعود ٢/ ٨٩، وانظر أيضاً: روح المعاني للعلامة الألوسي ٤/ ٦٨.
(٤) انظر: المرجع السابق ٤/ ٦٨.
(٥) انظر: تفسير القرطبي ٤/ ٢١٨.
(٦) سورة الأعراف/ جزء من الآية: ٥٦.

مهما اشتدت وكبرت فإن من سنن الله الثابتة ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾[١]، ومهما طال الليل واشتد ظلامه لابد وأن يعقبه النهار فعليه أن يصمد أمام الباطل ويثبت على الحق كما أُمِر به قدوته في ذلك نبيه المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه ومن تاب معه ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾[٢].

وإن أصابته سراء فليشكر، وإن أصابته ضراء فليصبر كي ينطبق عليه قول المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه: «**عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن. إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صَبَر، فكان خيراً له**»[٣].

* * * *

---

(١) سورة الشرح/ الآيتان: ٥ ـ ٦.

(٢) سورة هود/ جزء من الآية: ١١٢.

(٣) رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، رقم الحديث ٦٤ (٢٩٩٩)، ٤/ ٢٢٩٥، عن صهيب رضي الله عنه.

المطلب الثاني
الشدائد لا تشغل أهل الإيمان عن أمر الدين

من الدروس المستفادة من قصة إنفاذ أبي بكر الصديق جيش أسامة رضي الله عنهم أن الشدائد والمصائب مهما عظمت وكبرت لا تشغل أهل الإيمان عن أمر الدِّين. إنّ وفاة الرسول الكريم ﷺ ـ فداه أبي وأمي ما أجلّها من مصيبة! وما أعظمها من بلاء! ولاسيما على صاحبه في الغار أبي بكر الصديق رضي الله عنه الذي كان أحب الناس إليه من الرجال(١)، وهو الذي لم يتمالك نفسه لما أحسّ بالتلميح بارتحاله من هذه الدنيا إلى الرفيق الأعلى(٢)، وهو الذي كان إذا عزّى

---

(١) ومما يدلّ على هذا ما رواه الشيخان عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته فقلت: «أي الناس أحب إليك؟» قال: «**عائشة**». فقلت: «من الرجال؟» قال: «**أبوها**». الحديث (صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: «**لو كنت متخذاً خليلاً**» رقم الحديث ٣٦٦٢، ٧/١٨، واللفظ له، وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، رقم الحديث ٨(٢٣٨٤)، ٤/١٨٥٦).

(٢) ومما يدلّ على هذا ما رواه الإمام البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ جلس على المنبر فقال: «**إن عبداً خيّره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده. فاختار ما عنده**».
فبكى أبو بكر رضي الله عنه، وقال: «فديناك بآبائنا وأمهاتنا».
فعجبنا له، وقال الناس: «انظروا إلى هذا الشيخ، يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خيّره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا وبين ما عنده، وهو يقول: «فديناك بآبائنا وأمهاتنا».

رجلاً كان مما يقول: «اذكروا فقد النبي ﷺ تصْغُر مصيبتكم وأعظم الله أجركم»[١].

فهل شغلته هذه المصيبة العظمى عن أمر الدِّين، أم قلّلت من عنايته به؟ كلا والذي بعثه بالحق! بل نجده أمر منادياً ينادي من بعد الغد من متوفى رسول الله ﷺ بخروج جميع أفراد جيش أسامة رضي الله عنه إلى معسكرهم بالجرف كي يتم توجيههم الجهة التي وجههم رسول الله ﷺ إليها للجهاد في سبيل الله تعالى[٢].

ولم تكن المصيبة قاصرةً على فقدان الصديقِ حبيبَه خليلَ رب العالمين إمام الأنبياء وقائد المرسلين ﷺ فحسب؛ بل كان الارتداد قد ظهر معه، والنفاق قد نجم، واشرأبت اليهود والنصارى، وخشي المسلمون إغارة القبائل المرتدة على المدينة المنورة. وذُكر ذلك للصديق رضي الله عنه. ولكنه أصرّ ـ على الرغم من هذه المشاكل كلها ـ على المضي في الاهتمام بأمر هذا الدين، فقد قال قولته الخالدة: «والذي نفس أبي بكر رضي الله عنه بيده! لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة رضي الله عنه. ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته»[٣].

ولا يُستغرب هذا من الصدِّيق رضي الله عنه فإنه قد ربّاه خير معلِّم البشرية

= فكان رسول الله ﷺ هو المخيَّر، وكان أبو بكر رضي الله عنه هو أعلمنا به». (صحيح البخاري، مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، رقم الحديث ٣٩٠٣، ٧/ ٢٢٧).

(١) انظر: تاريخ الخلفاء للإمام السيوطي ص٩٥.

(٢) انظر ص١٠ من هذا البحث.

(٣) تاريخ الطبري ٣/ ٢٢٥.

كلها صلوات ربي وسلامه عليه على الاهتمام بأمر الدِّين في الأحوال كلها يسرها وعسرها. ولم يرشد ﷺ الصدِّيق وأصحابه الآخرين رضي الله عنهم إلى هذا بقوله فحسب بل قدّم نموذجاً عملياً لذلك. فنراه صلوات ربي وسلامه عليه يحذّر أمتَه عن ارتكاب الشرك وقد اشتد به مرضه الأخير. فقد روى الإمام البخاري عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهم قالا: «لما نزل برسول الله ﷺ[١] طفق[٢] يطرح خميصة[٣] له على وجهه، فإذا اغتم بها[٤] كشفها عن وجهه، فقال ـ وهو كذلك ـ: **«لعنة الله على اليهود والنصارى اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد»**. يحذِّر ما صنعوا[٥].

ونراه صلوات ربي وسلامه عليه تحضره ساعة ارتحاله من الدار الفانية إلى الدار الباقية، ولا يُسْمَع منه إلا ما يتجلّى فيه اهتمامه البالغ بأمر هذا الدين. فقد روى الإمام ابن ماجه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كانت وصية رسول الله ﷺ حين حضرته الوفاة، وهو يغرغر بنفسه: **«الصلاة وما ملكت أيمانكم»**[٦].

(١) **(لما نزل)**: الفاعل محذوف أي الموت. (فتح الباري ١/ ٥٣٢).
(٢) **(طفق)**: جعل. (المرجع السابق ١/ ٥٣٢).
(٣) **(الخميصة)**: كساء له أعلام. (المرجع السابق ١/ ٥٣٢).
(٤) **(اغتم بها)**: أي تسخن وحمي. (عمدة القارئ ٤/ ١٩٣).
(٥) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب، رقمي الحديثين ٤٣٥ و٤٣٦، ١/ ٥٣٢.
(٦) سنن ابن ماجه، أبواب الوصايا، باب وهل أوصى رسول الله ﷺ؟ رقم الحديث ٢٧٣٠، ٢/ ١١٤.
وحسّن إسناده الحافظ البوصيري. (انظر: مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه ٢/ ٩٥). وقال عنه الشيخ الألباني: «صحيح». (صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ١٠٩).

واستمر ﷺ - فداه أبي وأمي - في محاولة إعادة وصيته تلك حتى لم يَبْقَ لسانه المطهَّر قادراً على تبيينها. فقد روى الإمام ابن ماجه عن أم سلمة رضي الله عنها أنّ رسول الله ﷺ كان يقول في مرضه الذي توفي فيه: «**الصلاة، وما ملكت أيمانكم**».

«فما زال يقولها حتى ما يفيض بها لسانه[١]»[٢].

فمن هذا النبي الكريم ﷺ تعلّم الصديق رضي الله عنه العناية بهذا الدِّين. وبقي على هذا حتى نراه يرتحل عن هذه الدنيا وكل همه هذا الدين. فلنسمع ما أوصى به خليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فقد روى الإمام الطبري أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال - في مرضته التي مات فيها - «عليَّ بعمر».

فجاء، فقال له: «اسمع يا عمر ما أقول لك، ثم اعمل به. إني لأرجو أن أموت من يومي هذا - وذلك يوم الإثنين - فإن أنا متُّ فلا تمسينّ حتى تندب الناس مع المُثنى[٣]. وإن تأخرتُ إلى الليل فلا تصبحنَّ حتى تندب الناس مع المثنى. ولا تشغلنكم مصيبة - وإن عظمت - عن أمر دينكم ووصية ربكم. وقد رأيتُني متوفى رسول الله ﷺ وما صنعتُ، ولم يُصَبْ الخلق بمثله. وبالله! لو أني

---

(١) (**ما يفيض بها لسانه**): أي ما يبيّن. (غريب الحديث، باب الفاء مع الياء، ٢/ ٢١٣).

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في ذكر مرض رسول الله ﷺ، رقم الحديث ١٦٢٥، ١/ ٢٩٨.
وصحّحه الشيخ الألباني. (انظر: صحيح سنن ابن ماجه ١/ ٢٧١).

(٣) (المثنى بن حارثة الشيباني): أمير الجيش الإسلامي بعد ذهاب خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى الشام، وكان قد جاء إلى الصديق رضي الله عنه ليخبره خبر المسلمين والمشركين. (انظر: تاريخ الطبري ٣/ ٤١١ - ٤١٤، والكامل ٢/ ٢٨٤ - ٢٨٦).

أني عن أمر رسوله[١] لخذلنا ولعاقبنا، فاضطرمت المدينة ناراً»[٢].

الله أكبر! ما أعظم عنايته بخدمة هذا الدين! كيف لا وهو الذي لقَّن خَلَفه الدرس العظيم «ولا تشغلنكم مصيبة وإن عظمت عن أمر دينكم» رضي الله عنه وأرضاه.

ولم يكن الفاروق رضي الله عنه يفرِّط في تلك الوصية وهو خريج آخر للمدرسة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام. يحدثنا الإمام ابن الأثير عما قام به الفاروق رضي الله عنه لتنفيذ تلك الوصية حيث قال:

«فلما أصبح عمر رضي الله عنه من الليلة التي مات فيها أبو بكر رضي الله عنه كان أول ما عمل أن ندب الناس مع المثنى بن حارثة الشيباني رضي الله عنه إلى أهل فارس قبل صلاة الفجر، ثم بايع الناس، ثم ندب الناس وهو يبايعهم ثلاثاً»[٣].

ومما لا شك فيه أن وفاة خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق رضي الله عنه كانت من أعظم المصائب التي أصابت الأمة الإسلامية في وقتها، لكنها لم تشغل الفاروق رضي الله عنه عن أمر الدين، فقام يحثّ المسلمين على الخروج للجهاد في سبيل الله تعالى بعد ساعات قليلة مرّت على وفاته.

* * * *

(١) (أني عن أمر رسوله): «أني» من ونى في الأمر» أي ضعف وفتر. (انظر: أساس البلاغة، مادة «و ن ى) ص٥١٠.

(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٤١٤.

(٣) الكامل ٢/ ٢٩٧، وانظر أيضاً: تاريخ الطبري ٣/ ٤٤٤.

المطلب الثالث
المسيرة الدعوية لا ترتبط بأحد

يُلاحظ على بعض الطيبين أنهم يربطون مسيرة الدعوة مع أشخاص، ويظنّون أن الدعوة الإسلامية باقية ببقائهم، وإذا ما ارتحلوا عن هذه الدنيا فإنها تتوقّف وتتعطّل. إنّ هذا التصور لا يقرّه الإسلام. لقد بعث الله تعالى رسوله محمداً ﷺ مع دين الحق ليظهره على الدِّين كله. قال عز من قائل ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[1] وكتب تعالى لهذا الدين أن يبلغ ما بلغ الليل والنهار ويدخل كل بيت. فقد روى الإمام أحمد عن تميم الداري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ليبلغنّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعزّ الله به الإسلام، وذلاً يذل به الكفر**»[2].

وقدّر الله تعالى لهذا الدين الخلود والبقاء، يخدمه ويقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة. فقد روى الإمام مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لن يبرح هذا الدين قائماً يقاتل عليه عصابة من**

---

(١) سورة التوبة/ الآية: ٣٣، وسورة الصف/ الآية: ٩.

(٢) المسند ٤/ ١٠٣. وقال عنه الحافظ الهيثمي: «رواه أحمد والطبراني، ورجال أحمد رجال الصحيح». (مجمع الزوائد ٦/ ١٤) وروى نحوه الإمامان أحمد والطبراني عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه. (انظر: المسند ٦/ ٤، ومجمع الزوائد ٦/ ١٤).

المسلمين حتى تقوم الساعة»[١].

وفي قصة إنفاذ أبي بكر الصديق جيش أسامة رضي الله عنهما نجد أن الصدِّيق رضي الله عنه بيّن بقوله وعمله أن مسيرة الدعوة لم تتوقف، ولن تتوقف، حتى بموت سيد الخلق وإمام الأنبياء وقائد المرسلين ﷺ. وأثبت مواصلة العمل الدعوي بالمبادرة إلى تنفيذ هذا الجيش حيث نادى مناديه في اليوم الثالث من وفاة رسول الله ﷺ بخروج جند أسامة رضي الله عنه إلى عسكره بالجرف. وقد كان الصديق رضي الله عنه أعلن ـ قبل ذلك في خطبته التي ألقاها إثر بيعته ـ عن عزمه على مواصلة بذل الجهود لخدمة هذا الدين بقوله:

فاتقوا الله أيها الناس! واعتصموا بدينكم وتوكلوا على ربكم فإنّ دين الله قائم، وإنّ كلمة الله تامة. وإنّ الله ناصر من نصره، ومعِزّ دينه.

والله! لا نبالي من أجلب علينا من خلق الله. إنَّ سيوف الله لمسلولة، ما وضعناها بعد، ولنجاهدنّ من خالفَنا كما جاهدنا مع رسول الله ﷺ، فلا يبغينّ أحد إلا على نفسه [٢].

قد بيَّن الصدِّيق رضي الله عنه وأرضاه في خطبته هذه أنَّ الرسول الكريم صلوات ربي وسلامه عليه إن كان قد انتقل إلى رحمة ربه فإنّ دين الله لم يمت، بل هو قائم، وإن المؤمنين المتمسِّكين بهذا الدين القويم مستعدّون لبذل أرواحهم وما ملكت أيمانهم للدفاع عنه، ولرفع رايته.

وهذا الذي قاله أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه بعد وفاة الرسول الكريم ﷺ، قد عبّر عنه مؤمن آخر بهذا الدين القيم لما أُشيع نبأ استشهاده ﷺ أثناء

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: **«لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم»**، رقم الحديث ١٧٢ (١٩٢٢)، ٣/ ١٥٢٤.

(٢) البداية والنهاية ٥/ ٢٤٣ بإختصار.

معركة أحد، وجلس بعض الصحابة متأثرين بهذا النبأ المفجع، فانتهى إليهم ذلك المؤمن، وهو أنس بن النضر رضي الله عنه فخاطبهم بقوله:

«ما يجلسكم؟».

قالوا: «قُتِلَ رسول الله ﷺ».

قال: «قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ».

ولم يكن رضي الله عنه من رجال الكلام دون العمل، بل تقدّم فاستقبل سعدَ بن معاذ رضي الله عنه، فقال: «يا سعد بن معاذ! الجنة ورب النضر! إني أجد ريحها دون أحد».

قال أنس رضي الله عنه [ابن أخيه]: «فوجدْنا به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف، أو طعنة برمح، أو رمية سهم، ووجدناه قد قُتِل، وقد مثل به[١] المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه»[٢].

* * * *

(١) (وقد مثل به): وهو من المثلة بضم الميم وسكون المثلثة، وهو قطع الأعضاء من أنف وأذن ونحوها. (فتح الباري ٦/ ٢٣).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب قول الله عز وجل ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ﴾، جزء من رقم الحديث ٢٨٠٥، ٦/ ٢١.

المطلب الرابع
وجوب اتباع النبي الكريم ﷺ

ومن الدروس المستفادة من قصة إنفاذ الصديق جيش أسامة رضي الله عنهما أنه يجب على المسلمين اتباع أمر النبي الكريم ﷺ في السرّاء والضراء، كما أمرهم بذلك ربهم عز وجل بقوله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾(١) وكما أمرهم به نبيهم الكريم ﷺ بقوله: «**ما أمرتكم به فخذوه، وما نهيتكم عنه فانتهوا**»(٢)، وكما دلّ عليه ما رواه الإمام البخاري عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في المَنْشط والمكره»(٣).

وفي رواية أخرى: «وعسرنا ويسرنا وأَثَرة علينا»(٤).

ففي هذه القصة بيّن أبو بكر الصديق رضي الله عنه بقوله وفعله أنه عاض على أوامر النبي الكريم ﷺ بالنواجذ ومنفِّذها مهما كثرت المخاوف وشدّت المخاطر. وقد تجلّى هذا أثناء هذه القصة عدة مرات، ومنها:

---

(١) سورة الحشر/ جزء من الآية: ٧.

(٢) سنن ابن ماجه، المقدمة، باب اتباع سنة رسول الله ﷺ، رقم الحديث ١، عن أبي هريرة رضي الله عنه، ١/ ٥.
وقال عنه الشيخ الألباني: «صحيح». (صحيح سنن ابن ماجه ١/ ٥).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب كيف يبايع الإمام الناس، رقم الحديث ٧١٩٩، ١٣/ ١٩٢.

(٤) المرجع السابق، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: «**سترون بعدي أموراً تنكرونها**»، جزء من رقم الحديث ٧٠٥٦، ١٤/ ٥.

١ ـ لما طلب المسلمون إيقاف جيش أسامة رضي الله عنه نظراً لتغير الأحوال وتدهورها أجاب رضي الله عنه بقولته الخالدة: «والذي نفس أبي بكر بيده! لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذتُ بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ، ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته»(١).

٢ ـ ولما استأذنه أسامة رضي الله عنهما في الرجوع بجيشه من الجرف إلى المدينة خوفاً على الصدِّيق وأهل المدينة رضي الله عنهم من أن تُغِير عليهم القبائل المرتدة بعد انطلاق جيشه إلى قتال الروم، لم يأذن له، بل أبدى عزمه الصميم على تنفيذ قضاء النبي الكريم ﷺ بقوله: «لو خطفتني الكلاب والذئاب لم أردّ قضاء قضى به رسول الله ﷺ»(٢).

وقدّم رضي الله عنه بموقفه هذا صورة تطبقية لقول الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾(٣).

٣ ـ وبيّن أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه كذلك إصراره الشديد على تمسكه بأمر النبي الكريم ﷺ لما بلّغه الفاروق رضي الله عنه طلب الأنصار بتعيين رجل أقدم سناً من أسامة رضي الله عنه أميراً على الجيش فأبدى غضبه الشديد على الفاروق رضي الله عنه بسبب جرأته على نقل مثل هذا الاقتراح إليه.
فقد روى الإمام الطبري عن الحسن بن أبي الحسن البصري أن عمر رضي الله عنه قال: «فإن الأنصار أمروني أن أبلغك، وإنهم يطلبون إليك أن تولي

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٢٢٥، وانظر أيضاً: تاريخ خليفة بن خياط ١٠٠ ـ ١٠١، والكامل ٢/ ٣٢٦.
(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٢٢٦.
(٣) سورة الأحزاب/ الآية: ٣٦.

أمرهم رجلاً أقدم سناً من أسامة». فوثب أبو بكر رضي الله عنه ـ وكان جالساً ـ فأخذ بلحية عمر رضي الله عنه، فقال له: «ثكلتك أمك وعدمتك يابن الخطاب! استعمله رسول الله ﷺ وتأمرني أن أنزعه»[١].

٤ ـ وتجلّى اهتمام أبي بكر الصديق رضي الله عنه باتباع النبي الكريم ﷺ كذلك في خروجه لتشييع الجيش، ومشيه مع أسامة رضي الله عنه الذي كان راكباً[٢]. ولقد كان الصديق رضي الله عنه في عمله هذا مقتدياً بما فعله سيد الأولين والآخرين رسولنا الكريم صلوات ربي وسلامه عليه مع معاذ بن جبل رضي الله عنه عند بعثه إلى اليمن. فقد روى الإمام أحمد عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن، خرج معه رسول الله ﷺ يوصيه، ومعاذ ـ رضي الله عنه ـ راكب، ورسول الله ﷺ يمشي تحت راحلته»[٣].

قال الشيخ أحمد البنا تعليقاً على هذا الحديث: «وقد فعل ذلك أبو بكر رضي الله عنه بأسامة بن زيد رضي الله عنهما مع صغر سنه، فقد عقد له النبي ﷺ قبل وفاته لواء على جيش، ولم يسافر إلا بعد وفاة النبي ﷺ، فشَيَّعه أبو بكر

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٢٢٦.

(٢) انظر: تخريج هذا في ص١٢ من هذا البحث.

(٣) الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبواب حوادث السنة العاشرة، باب بعث معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن، ٢١/ ٢١٥. وقال عنه الحافظ الهيثمي: رواه أحمد بإسنادين، ورجال الإسنادين رجال الصحيح غير راشد بن سعد وعاصم بن حميد، وهما ثقتان. (نقلاً عن بلوغ الأماني ٢١/ ٢١٥ باختصار).
وقال عنه الشيخ أحمد: «سنده جيد ورواته ثقات». (المرجع السابق ٢١/ ٢١٥).

رضي الله عنه ماشياً، وأسامة رضي الله عنه راكباً، اقتداءً بما فعله النبي ﷺ بمعاذ رضي الله عنه»[١].

٥ - وبرزت عناية أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه بالاقتداء بالرسول الكريم ﷺ أيضاً في قيامه بتوصية الجيش عند توديعهم حيث كان رسول الله ﷺ يوصي الجيوش عند توديعهم. ولم يقتصر الصدِّيق رضي الله عنه على هذا؛ بل إنَّ معظم ما جاء في وصيته لجيش أسامة كان مقتبساً من وصايا النبي الكريم ﷺ للجيوش[٢].

٦ - لقد بلغ حرص الصديق رضي الله عنه على التأسي برسول الله ﷺ حتى دعا للجيش بما دعا به النبي الكريم ﷺ لأمته. فقد قال رضي الله عنه في نهاية وصيته للجيش: «أفناكم الله بالطعن والطاعون»[٣] وهذا ما دعا به النبي الكريم ﷺ للأمة. فقد روى الإمام أحمد عن أبي بردة بن قيس أخي أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اللهم اجعل فناء أمتي في سبيلك بالطعن والطاعون**»[٤].

٧ - ولم يقف أبو بكر الصديق رضي الله عنه عند الاقتداء بالرسول الكريم ﷺ فيما قاله وفعله فحسب؛ بل أمرَ أمير الجيش أسامة رضي الله عنه بتنفيذ أمره ﷺ، ونهاه عن التقصير فيه. فقد قال له رضي الله عنهما: «اصنع ما أمرك به نبي الله ﷺ. ابدأ ببلاد قضاعة، ثم ايت آبل، ولا تقصرنَّ شيئاً

---

(١) بلوغ الأماني ٢١/ ٢١٥.
(٢) انظر بعض التفصيل لهذا الأمر في ص١٣ من هذا البحث.
(٣) انظر ص ١٣من هذا البحث.
(٤) المسند ٣/ ٤٣٧. وقال عنه الحافظ الهيثمي «رواه أحمد والطبراني في الكبير، ورجال أحمد ثقات». (مجمع الزوائد ٢/ ٣١٢).

من أمر رسول الله ﷺ»[١].

وفي رواية أخرى أنه قال رضي الله عنه: «امض يا أسامة للوجه الذي أمرت به ثم اغز حيث أمرك رسول الله ﷺ من ناحية فلسطين، وعلى أهل مؤتة فإن الله سيكفي ما تركت»[٢].

وفي رواية عند الإمام ابن الأثير: «وأوصى أسامة رضي الله عنه أن يفعل ما أمر به رسول الله ﷺ»[٣].

* * * *

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٢٢٦.
(٢) تاريخ الإسلام للحافظ الذهبي (عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم) ١٩/ ٢٠.
(٣) الكامل ٢/ ٢٣٧.

المطلب الخامس

ضرورة المبادرة إلى اتباع النبي الكريم ﷺ

ومن الدروس المستفادة من هذه القصة ضرورة المبادرة إلى اتباع النبي الكريم ﷺ. فقد أمر الصديق رضي الله عنه منادياً ينادي بخروج جند أسامة إلى معسكرهم بالجرف من بعد الغد من متوفى رسول الله ﷺ. ولم يكن ذلك منه إلا حرصاً على المبادرة إلى بعث جيش أسامة رضي الله عنه كما أمر به رسول الله ﷺ. ولما طُلِبَ منه حبس الجيش ردّ عليه بقوله: «ما كنت لأستفتح بشيء أولى من إنفاذ أمر رسول الله ﷺ»[(١)].

وفي رواية أخرى: فخطب أبو بكر رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «والله! لأن تخطفني الطير أحب إليّ من أن أبدأ بشيء قبل أمر رسول الله ﷺ»[(٢)].

وهكذا يجب على كل من ادّعى أنه من أمة رسول الله ﷺ أن يكون مبادراً إلى تنفيذ أوامره ﷺ. وما أكثر الشواهد الدالة على هذا في سِيَر المتبعين الصادقين. ومنها ما يلي:

١ ـ مسارعة قوم من الأنصار إلى تولية وجوههم نحو الكعبة وهم ركوع.

٢ ـ مبادرة الصحابة إلى انضمام بعضهم إلى بعض عند النزول في السفر تنفيذاً لأمره ﷺ.

٣ ـ إكفاء الصحابة القدور وهي تفور باللحم عند استماعهم النداء بتحريم لحوم

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط ١٠٠.

(٢) طبقات ابن سعد ٤/ ٦٧.

الحمر الأهلية.

٤ ـ رمي الصحابة الخمر حتى جرت في سكك المدينة عند إعلان تحريمها[١].

٥ ـ مبادرة الصحابة إلى خلع نعالهم في الصلاة حينما رأوا النبي الكريم ﷺ يخلع نعليه.

٦ ـ خلع المرأة سواريها عند استماع تهديد النبي ﷺ.

٧ ـ التصاق النساء بالجدار تنفيذاً لأمره ﷺ بالمشي في حافات الطريق[٢].

* * * *

(١) انظر تخريج تلك القصص في: «حب النبي ﷺ وعلاماته» للمؤلف ص٦٠ ـ ٦٦.

(٢) انظر تخريج تلك القصص في المرجع السابق ص٧٠ ـ ٧٤.

المطلب السادس
نصر المسلمين وعزهم مرتبط باتباع النبي الكريم ﷺ

وإنّ مما نستفيده من هذه القصة أن من أطاع النبي الكريم ﷺ وعضّ على سنته بالنواجذ فإن الله جل جلاله ينصره ويمنحه العزَّ والشَّرف. لما أصَرَّ أبو بكر الصديق رضي الله عنه على تنفيذ أمر النبي الكريم ﷺ ببعث جيش أسامة رضي الله عنه بكل تفاصيله رغم تدهور الأحوال وتغيرها، وانقاد الصحابة رضي الله عنهم لرأيه، وتمسَّكوا بأمر الرسول الكريم ﷺ، وبذلوا المستطاع لتحقيقه نصرهم الله تعالى، ورزقهم الغنائم، وألقى في قلوب الناس هيبتهم، وكفّ عنهم كيد الأعداء وشرهم. فقد روى الإمام ابن جرير الطبري: فمضى أسامة رضي الله عنه، وانتهى إلى ما أمره به النبي ﷺ من بعث الخيول في قبائل قضاعة، والغارة على آبل. فسلِم وغنم. وكان فراغه في أربعين يوماً سوى مقامه ومنقلبه راجعاً[1].

ويحدِّثنا أبو هريرة رضي الله عنه عن أثر خروج هذا الجيش على القبائل الذين كانوا يريدون الارتداد بقوله: «فجعل لا يمرّ بقبيل يريدون الارتداد إلا قالوا: «لولا أنّ لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم، ولكن نَدَعُهم حتى يلقوا الروم، فلقوهم فهزموهم وقتلوهم ورجعوا سالمين، فثبتوا على الإسلام»[2].

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٢٢٧ باختصار، وانظر أيضاً: تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم) للحافظ الذهبي ص٢٠.

(٢) انظر: تاريخ الخلفاء للإمام السيوطي ص٧٤. وانظر كذلك: الكامل للإمام ابن الأثير حيث قال: «وكان إنفاذ جيش أسامة رضي الله عنه أعظم الأمور نفعاً =

ويحدِّثنا عروة بن الزبير رضي الله عنه عن هيبة بعث هذا الجيش على الروم حيث قال: «فقدِم على هِرَقْل موتُ النبي ﷺ، وإغارةُ أسامة رضي الله عنه على أرضه في آن واحد، فقالت الروم: «ما بال هؤلاء يموت صاحبهم وأنْ أغاروا على أرضنا»(١).

وقال الإمام ابن سعد عن هذا الجيش: «فما رُئي جيش كان أسلم من ذلك الجيش»(٢).

هذا، وقد تحدث بعض غير المسلمين عن أهمية إنفاذ هذا الجيش ومكانته. فقد قال توماس. و. آرنولد عنه: «بعد وفاة محمد ـ ﷺ ـ أرسل أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ الجيش الذي كان النبي ـ ﷺ ـ قد عزم على إرساله إلى مشارف الشام، على الرغم من معارضة بعض المسلمين؛ بسبب الحالة المضطربة في بلاد العرب إذ ذاك، فأسكت احتجاجاتهم بقوله: «أردّ قضاءً قضى به رسول الله ﷺ، ولو ظننتُ أن السباع تخطفني لأنفذتُ جيش أسامة ـ رضي الله عنه ـ كما أمر النبي ـ ﷺ ـ»(٣).

ثم قال: «وكانت هذه هي أولى تلك السلسلة الرائعة من الحملات التي اجتاح العرب فيها سورية وفارس وإفريقية الشمالية، فقوّضوا دولة فارس القديمة، وجرّدوا الإمبراطورية الرومانية من أجمل ولاياتها»(٤).

= للمسلمين، فإن العرب قالوا: «لو لم يكن بهم قوة لما أرسلوا هذا الجيش فكفوا عن كثير مما كانوا يريدون أن يفعلوه» (٢/ ٢٢٧).

(١) سير أعلام النبلاء ٢/ ٥٠٣. وانظر أيضاً: تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم) للحافظ الذهبي ص٢٠.

(٢) طبقات ابن سعد ٤/ ٦٨.

(٣) الدعوة إلى الإسلام ص٦٣.

(٤) المرجع السابق ص٦٣.

وهذا الذي تحقّق من هيبة، وعز، وانتصار، والظفر بالغنائم لا غرابة فيه فإنه برحمة العلي القدير التي يرحم سبحانه وتعالى بها من أطاعه وأطاع رسوله الكريم، صلوات ربي وسلامه عليه. قال عز من قائل: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[١]. وقال جل جلاله: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[٢].

وبيّن الرب تعالى كذلك أنّ من خالف عن أمر النبي ﷺ فهو يُعرّض نفسه لغضب الله وعذابه. قال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٣].

وأخبر الناطق بالوحي رسولنا الكريم صلوات ربي وسلامه عليه كذلك أنّ الزائغ عن سنته هالك. فقد روى الإمام ابن أبي عاصم عن العرباض بن سارية رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «**لقد تركتكم على مثل البيضاء: ليلها كنهارها، لا يزيغ بعدي عنها إلا هالك**»[٤].

كما بيّن ﷺ أنه قد فُرِضت الذلة والصغار على من خالف أمره. فقد روى الإمام أحمد عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**جعل الذلة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبّه بقوم فهو منهم**»[٥].

---

(١) سورة آل عمران/ الآية: ١٣٢.

(٢) سورة النور/ الآية: ٥٦.

(٣) سورة النور/ الآية: ٦٣.

(٤) كتاب السنة، باب ذكر قول النبي ﷺ: «**تركتكم على مثل البيضاء**» وتحذيرهم إياهم أن يتغيّروا عما يتركهم عليه، ...، رقم الحديث ٤٨، ص٢٦ و٢٧. وصحّحه الشيخ الألباني. (انظر تخريجه في ظلال الجنة في تخريج السنة (المطبوع مع كتاب السنة) ص٢٧).

(٥) المسند، جزء من رقم الحديث ٥١١٥، ٧/ ١٢٢. وصحّح الشيخ أحمد محمد =

فخلاصة الكلام أنّ مما يُستفاد من قصة إنفاذ الصدِّيق جيش أسامة رضي الله عنهما أنَّ الله تعالى قد ربط نصر الأمة وعزها باتباع النبي الكريم ﷺ. فمن أطاعه فله النصر والتمكين، ومن عصاه فله الذلة والهوان. وما تشكوه الأمة الإسلامية في أيامنا هذه من صغار وهوان في مشارق الأرض ومغاربها لم تصبها ما أصابها إلا بما كسبت يداها. أعرضت الأمة عن الشريعة التي جاء بها الرسول الكريم ﷺ فأعرض عنهم عزيز ذو انتقام. ولنعم ما قاله شاعر فارسي:

تا شعار مصطفى ﷺ ازدست رفت
قوم رارمز حيات ازدست رفت

[ترجمة: إذا انحرفت الأمة عن طريق المصطفى ﷺ فقد فقدت سِرَّ حياتها].

أسأل ربي عز وجل أن يوفق الأمة الإسلامية لاتباع النبي الكريم ﷺ، وأن يعيد لها عزها السالف ومجدها الغابر. آمين يا حي يا قيوم.

* * * *

= شاكر إسناده. (انظر: هامش المسند ٧/ ١٢٢).

المطلب السابع
لا عصمة لأحد غير النبي الكريم ﷺ

ومن الدروس المستفادة من هذه القصة أنه لا عصمة لأحد غير النبي الكريم ﷺ. فكل منْ سواه يخطئ ويصيب. فقد أخطأ المسلمون لما طلبوا من الصديق حبس جيش أسامة رضي الله عنهما، ولم يُصِبْ أسامة رضي الله عنه كذلك لما استأذن الصدِّيق رضي الله عنه في الرجوع بالجيش إلى المدينة، ولم يدرك الأنصار رضي الله عنهم الصوابَ كذلك لما طلبوا تعيين رجل أقدم سناً من أسامة أميراً للجيش.

ولا غرابة في هذا لأن غير النبي ﷺ لا ينطق ولا يتصرف بالوحي، وإنما الذي ينطق ويتصرف بالوحي هو النبي ﷺ. قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾(١). ولأجل هذا أُمِرَ غيرُ النبي بطاعة النبي. قال عز من قائل: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾(٢). وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾(٣) ولو جُعِل غير النبي مطاعاً في كل ما يقوله ويفعله مطلقاً لوقعت البشرية في عنت ومشقة. قال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾(٤).

ولهذا جعل الله تعالى طاعة ولاة الأمور في المعروف دون المعصية. قال

---

(١) سورة النجم/ الآيتان ٣ـ٤.
(٢) سورة النساء/ جزء من الآية: ٦٤.
(٣) سورة الحشر/ جزء من الآية: ٧.
(٤) سورة الحجرات/ جزء من الآية: ٧.

عز من قائل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾(١).

وبيّن ذلك النبي الكريم ﷺ في عدة أحاديث. ومنها ما رواه الإمام البخاري عن عبدالله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحبَّ وكرِه، ما لم يُؤمَر بمعصية. فإذا أُمِر بِمعصية فلا سمع ولا طاعة**»(٢).

ومنها كذلك ما رواه الإمام البخاري عن علي رضي الله عنه قال: «بعث النبي ﷺ سرية وأمّر عليهم رجلاً من الأنصار، وأمرهم أن يطيعوه، فغضب عليهم، وقال: «أليس قد أمر النبيُ ﷺ أن تطيعوني؟ قالوا: «بلى».

قال: «قد عزمتُ عليكم لما جمعتم حطَباً وأوقدتم ناراً ثم دخلتم فيها».

فجمعوا حطباً، فأوقدوا ناراً؛ فلما همّوا بالدخول فقاموا ينظر بعضهم إلى بعض، فقال بعضهم: «إنما تبِعنا النبي ﷺ فراراً من النار، أفَنَدْخُلُها؟».

فبينما هم كذلك إذْ خمدت النار، وسكن غضبه. فذكر للنبي ﷺ، فقال: «لو دخلوها ما خرجوا منها أبداً، إنما الطاعة في المعروف»(٣).

ولو كانت العصمة لأحد بعد النبي الكريم ﷺ لكان أولى الناس بها من الأمة أبو بكر رضي الله عنه أفضل البشر بعد الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، لكنه صرّح بنفسه في خطبته الأولى بعد بيعته العامة بنفي العصمة عنه. فقد ذكر الأئمة ابن حبان، وابن الأثير، وابن كثير أنّه رضي الله عنه أعلن في تلك الخطبة:

---

(١) سورة النساء/ الآية: ٥٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، رقم الحديث ٧١٤٤، ١٣/ ١٢١ ـ ١٢٢.

(٣) المرجع السابق، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، رقم الحديث ٧١٤٥، ١٣/ ١٢٢.

أيها الناس! فإني قد وُلِّيتُ عليكم ولست بخيركم. فإن أحسنتُ فأعينوني، وإن أسأت فقوموني... أطيعوني ما أطعتُ الله ورسوله، فإذا عصيتُ الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم[١].

* * * *

(١) انظر: السيرة النبوية وأخبار الخلفاء للإمام ابن حبان البستي ص٤٢٣ ـ ٤٢٤، والكامل ٢/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥، والبداية والنهاية ٦/ ٣٠١. وانظر كذلك: مصنف عبدالرزاق، كتاب الجامع، باب لا طاعة في معصية، رقم الرواية ٢٠٧٠٢، ١١/ ٣٣٦، وصفة الصفوة ١/ ٢٦٠ ـ ٢٦١.

المطلب الثامن
لا عبرة برأي الأكثرية إذا كان مخالفاً للنص

يحتج كثير من الناس لإثبات آرائهم المخالفة للنصوص بكثرة عدد من يرى رأيهم، وإن مما نستفيده من هذه القصة أنّ ما أمر به النبي الكريم ﷺ هو الحق الذي يُؤخَذ به دون ما سواه، سواءٌ تمسَّك به كثير من الناس أم لم يتمسكوا به.

لما أمر أبو بكر رضي الله عنه بتنفيذ جيش أسامة رضي الله عنه رأى عامة الصحابة حبسَه نظراً لتغيّر الأحوال وتدهورها بعد وفاة النبي الكريم ﷺ. فقد روى الإمام خليفة بن خياط عن ابن إسحاق أن أبا بكر رضي الله عنه أمر الناس أن ينفذوا جيش أسامة رضي الله عنه فقال له الناس: «إن العرب قد انتقضت عليك وإنك لا تصنع بتفريق الناس عنك شيئاً»(١).

وروى الإمامان ابن جرير الطبري وابن حبان البستي في كتابيهما كذلك: «فقال له الناس»(٢).

وذكر الإمام ابن الأثير في كتابه: «فقال الناس لأبي بكر رضي الله عنه»(٣).

وذكر الحافظ الذهبي في كتابه: «فكلَّمه رجال من المهاجرين والأنصار»(٤).

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط ص١٠٠.
(٢) انظر تاريخ الطبري ٣/ ٢٢٥، والسيرة النبوية وأخبار الخلفاء ص٤٢٧.
(٣) الكامل ٢/ ٢٢٦.
(٤) تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم) ص٢٠.

وإن أولئك الناس لم يكونوا كعامة الناس؛ بل كانوا من الصحابة الذين هم خير بشر وُجِدوا على الأرض بعد الأنبياء والرسل عليهم السلام. لكن الصدِّيق رضي الله عنه لم يستجب لهم مبيِّناً أن أمر رسول الله ﷺ أجل، وأكرم، وأوجب، وألزم من رأيهم كلهم. فقد قال رضي الله عنه: «أنا أحبس جيشاً بعثهم رسول الله ﷺ. لقد اجترأت على أمر عظيم. والذي نفسي بيده! لأن تميل العرب أحب إليّ من أحبس جيشاً بعثهم رسول الله ﷺ. امض يا أسامة للوجه الذي أُمرت به، ثم اغز حيث أمرك رسول الله ﷺ من ناحية فلسطين، وعلى أهل مؤتة فإن الله سيكفي من تركت»(١).

وأكّد الصديق رضي الله عنه هذا الأمر كذلك لما نُقِل إليه طلبُ الأنصار على لسان الفاروق رضي الله عنه بتعيين شخص أقدم سناً من أسامة أميراً للجيش. فقد روى الإمام الطبري عن الحسن بن أبي الحسن البصري: قالت الأنصار [لعمر بن الخطاب رضي الله عنه]: «فإن أبى إلا أن نمضي فأبلغه عنّا، واطلب إليه أن يولي أمرنا رجلاً أقدم سناً من أسامة»(٢).

وذكر الإمام ابن الأثير: وقال من مع أسامة من الأنصار لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: ألا فامض فأبلغه عنها...(٣) فكان ردّ الصديق رضي الله عنه على هذا الطلب كما روى الإمام الطبري: فوثب أبو بكر رضي الله ـ وكان جالساً ـ فأخذ بلحية عمر رضي الله عنه، فقال له: «ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب! استعمله رسول الله ﷺ وتأمرني أنْ أنزعه»(٤).

---

(١) تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم) ص٢٠ ـ ٢١.
(٢) تاريخ الطبري ٣/٢٢٦.
(٣) الكامل ٢/٢٢٦.
(٤) تاريخ الطبري ٣/٢٢٦.

والّذي بعث محمداً ﷺ بالحق! لو كان لرأي الكثرة عند معارضة النص عبرة لكان ذلك لرأي أولئك الأبرار الذين قال النبي ﷺ عنهم: «**لو أنّ الأنصار سلكوا وادياً أو شعباً لسلكت في وادي الأنصار، ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار**»[(١)] والذين قال ﷺ عنهم كذلك: «**الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق. فمن أحبّهم أحبّه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله**»[(٢)].

ولكن لا عبرة لمن كان رأيهم غير مطابق للنص مهما علا شأنهم، وارتفعت منزلتهم، وكثر عددهم. قال الإمام النووي: «وإذا ثبتت السنة لا تترك لترك بعض الناس أو أكثرهم أو كلهم لها»[(٣)].

وقد تجلّت هذه الحقيقة أيضاً في حادثة وفاة النبي ﷺ حيث رأى عامة الصحابة رضي الله عنهم وفيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ لم يمت[(٤)]. ورأى عدد قليل من الصحابة رضي الله عنهم أنه ﷺ قد مات، ومنهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه[(٥)]. ولكن أبا بكر رضي الله عنه لم يلتفت إلى رأي الأكثرية بل تمسك بالنص، وبيّن خطأ رأي الأكثرية[(٦)].

---

(١) روى الحديث الإمام البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب قول النبي ﷺ: «**لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار**»، جزء من رقم الحديث ٣٧٧٩ عن أبي هريرة رضي الله عنه ، ٧/ ١١٢ .

(٢) روى الحديث الإمام البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب حب الأنصار من الإيمان، رقم الحديث ٣٧٨٣ عن أنس رضي الله عنه، ٧/ ١١٣ .

(٣) شرح النووي ٨/ ٥٦ .

(٤) انظر: تاريخ الإسلام للحافظ الذهبي (السيرة النبوية) ص٥٦٧ .

(٥) انظر: فتح الباري ٨/ ١٤٦ .

(٦) انظر: صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في أكفانه، جزء من رقمي الحديث ١٢٤١ ـ ١٢٤٢، ٣/ ١١٣ .

وقال الحافظ ابن حجر تعليقاً على رأي الأكثرية حول وفاته ﷺ: «فيؤخذ منه أن الأقل عدداً في الاجتهاد قد يصيب ويخطئ الأكثر، فلا يتعين الترجيح بالأكثر»[١].

وفي قصة قتال مانعي الزكاة كذلك رأي عامة الصحابة رضي الله عنهم بما فيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه عدم قتالهم، ورأى أبو بكر الصديق رضي الله عنه قتالهم، ولم يكن رأي الأكثرية صواباً[٢].

فخلاصة الكلام أنّ مما نستفيده من قصة تنفيذ الصديق جيش أسامة رضي الله عنهما أنَّ تأييد الكثرة لرأيٍ ليس دليلاً على إصابته. وتؤكد هذه الحقيقة شواهد كثيرة إلى جانب نصوص الكتاب والسنة.

* * * *

(١) فتح الباري ٨/١٤٦.
(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، رقمي الحديث ٧٢٨٤ و٧٢٨٥، ٣/٢٥٠؛ وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله...، رقم الحديث ٣٢(٢٠)، ١/٥١ ـ ٥٢.
وانظر كذلك: فتوح البلدان للإمام البلاذري ص١٠٣ ـ ١٠٤، والكامل ٢/٢٣١.

المطلب التاسع
حدوث الاختلاف بين المؤمنين الصادقين

ممّا نستفيده من هذه القصة أنَّه قد يحدث الخلاف بين المؤمنين الصادقين حول بعض الأمور. فقد اختلفت الآراء حول تنفيذ جيش أسامة رضي الله عنه في تلك الظروف الصعبة، كما تعدّدت الأقوال حول إمارته.

وقد حدَثَ خلاف قبل ذلك حول وفاة النبي ﷺ، فرأى عامة الصحابة رضي الله عنهم بما فيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ لم يمت، ورأى عدد قليل من الصحابة رضي الله عنهم، ومنهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه أنه ﷺ قد توفي(١).

ثم حصل خلاف في من يكون أميراً بعد رسول الله ﷺ، فقد روى الإمام أحمد عن عبدالله رضي الله عنه قال: «لما قبض رسول الله ﷺ قالت الأنصار: «منا أمير ومنكم أمير».

فأتاهم عمر رضي الله عنه فقال: «يا معشر الأنصار! ألستم تعلمون أنّ رسول الله ﷺ قد أمَّر أبا بكر رضي الله عنه أن يؤم الناس؟ فأيّكم تطيب نفسه أن يتقدّم أبا بكر رضي الله عنه؟» الحديث(٢).

ثم تباينت الآراء حول قبر النبي ﷺ. هل يكون لحداً أم شقاً؟ فقد روى الإمام ابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما مات رسول الله ﷺ اختلفوا

---

(١) انظر: ص٤٥ من هذا البحث.
(٢) المسند، جزء من رقم الحديث ١٣٣، ١/٢١٣ ـ ٢١٤. وقال عنه الحافظ ابن حجر: «وسنده حسن» (فتح الباري ١٢/١٥٣).

في اللحد والشَق حتى تكلموا في ذلك، وارتفعت أصواتهم، فقال عمر رضي الله عنه: «لا تصخبوا عند رسول الله ﷺ حياً ولا ميّتاً». أو كلمة نحوها. الحديث[١].

واختلفت أقوال الصحابة كذلك حول قتال مانعي الزكاة، فقال عامة الصحابة رضي الله عنهم بما فيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعدم قتالهم. وأصرّ أبو بكر الصديق رضي الله عنه على قتالهم؛ بل أعلن عن عزمه على قتال حتى من منع عِقالاً كان يؤديه إلى رسول الله ﷺ[٢].

وهناك شواهد أخرى كثيرة ظهر فيها اختلاف آراء الصحابة رضي الله عنهم أجمعين بسبب وصول النص في الموضوع إلى بعضهم دون الآخرين، أو بسبب السهو والنسيان، أو بسبب اختلاف الضبط، أو بسبب اختلافهم في فهم علة الحكم وتحديدها، أو في الجمع بين المختلفين، المهم حصل الخلاف فيما بينهم حول بعض المسائل لسبب من الأسباب، ولا غرابة في هذا.

ولكن العجب كل العجب، والويل كل الويل أنْ يجرّ الخلاف في الرأي كما يشاهد لدى بعض المسلمين في أيامنا هذه إلى التباغض، والتشاجر، والتدابر والتقاطع، والتقاتل، أو أن يكون هناك إصرار على رأي بعد وضوح فساده وبطلانه.

* * * *

(١) سنن ابن ماجه، أبواب ما جاء في الجنائز، باب ما جاء في الشق، رقم الحديث١٥٥٧، ١/ ٢٨٥.
وقال عنه الشيخ الألباني: «حسن». (صحيح سنن ابن ماجه ١/ ٢٦٠).

(٢) انظر ص (٤٦) من هذا البحث.

المطلب العاشر
ردّ التنازع إلى الكتاب والسنة

ومما نستفيده من هذه الحادثة أنه يجب ردّ التنازع إلى الكتاب والسنة. فقد اختلفت الآراء في تنفيذ جيش أسامة رضي الله عنه، فردّ أبو بكر الصديق رضي الله عنه الخلاف إلى ما ثبت من أمر النبي الكريم ﷺ ببعث الجيش. وبيّن رضي الله عنه أنّه ما كان ليفرّط فيما أمر به رسول الله ﷺ مهما تغيرت الأحوال وتبدّلت. فقد قال رضي الله عنه: «لو خطفتني الكلاب والذئاب لأنفذته كما أمر به رسول الله ﷺ، ولا أردّ قضاءً قضى به رسول الله ﷺ، ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته»[١].

وهكذا لما نقل الفاروق إلى الصدّيق رضي الله عنهما طلب الأنصار بتعيين شخص أقدم سناً من أسامة رضي الله عنه ردّه الصدّيق رضي الله عنه إلى أمر رسول الله ﷺ قائلاً له: «ثكلتك أمك وعدمتك يابن الخطاب! استعمله رسول الله ﷺ وتأمرني أنْ أنزعه»[٢].

وهكذا طبّق الصديق رضي الله عنه ما أمر الله تعالى به في محكم التنزيل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[٣].

وهكذا كان أصحاب رسول الله ﷺ الآخرون وسلف هذه الأمة يردّون فيما

---

(١) الكامل ٢/٢٢٦.
(٢) تاريخ الطبري ٣/٢٢٦، وانظر أيضاً: الكامل ٢/٢٢٦.
(٣) سورة النساء/ الآية: ٥٩.

تنازعوا فيه إلى الكتاب والسنة. وما أكثر الشواهد الدالة على ذلك. ومنها ما يلي:

١ ـ ردّ التنازع في وفاة النبي الكريم ﷺ إلى الكتاب العزيز[١].

٢ ـ رد التنازع في اختيار الخليفة إلى تعيين النبي الكريم ﷺ أبا بكر رضي الله عنه إماماً في الصلاة[٢].

٣ ـ ردّ التنازع حول سقوط طواف الوداع عن الحائض بين زيد بن ثابت وابن عباس رضي الله عنهم إلى السنة[٣].

٤ ـ ردّ التنازع في عدّة المتوفَّى عنها زوجها بين ابن عباس وأبي سلمة وأبي هريرة رضي الله عنهم إلى السنة[٤].

٥ ـ رد الخلاف حول ركعتين بعد صلاة العصر بين ابن عباس وطاووس رضي الله عنهم إلى السنة[٥].

---

(١) انظر تفصيل القصة في صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، رقم الحديث ٤٤٥٤، ٨/ ١٤٥.

(٢) انظر تفصيل القصة في المسند، رقم الحديث ١٣٣، ١/ ٢١٣ـ٢١٤، وسنن النسائي، كتاب الإمامة، باب ذكر الإمامة والجماعة، إمامة أهل العلم والفضل، ٢/ ٧٤ ـ ٧٥.

(٣) انظر تفصيل القصة في المسند، رقم الحديث ٣٢٥٦، ٥/ ٨٩؛ وصحيح مسلم، كتاب الحج، باب وجوب طواف الوداع وسقوطه عن الحائض، رقم الحديث ٣٨١ (١٣٢٨)، ٢/ ٩٦٣ ـ ٩٦٤.

(٤) انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾، رقم الحديث ٤٩٠٩، ٨/ ٦٥٣؛ وصحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب انقضاء عدّة المتوفَّى عنها زوجها وغيرها بوضع الحمل، رقم الرواية ٥٧(١٤٨٥)، ٢/ ١١٢٢ـ١١٢٣.

(٥) انظر: سنن الدارمي، باب ما يتّقى من تفسير حديث النبي ﷺ وقول غيره عند قوله ﷺ، رقم الحديث ٤٤٠، ١/ ٩٥.

فخلاصة الكلام أنّ مما نستفيده من قصة تنفيذ الصديق رضي الله عنه جيش أسامة رضي الله عنه أنّ الصديق رضي الله عنه ردّ التنازع إلى أمر النبي ﷺ، وعضّ بالنواجذ عليه، وأمر المسلمين بالتمسك به، وهكذا كان الصحابة رضي الله عنهم فيما اختلفوا فيه(١). جعلنا الله تعالى على دربهم سائرين. إنه سميع مجيب.

* * * *

(١) هناك شواهد أخرى كثيرة لردّ الصحابة رضي الله عنهم الخلاف إلى الكتاب والسنة. انظر بعض تلك الشواهد في كتابي: «مسؤولية النساء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ضوء النصوص وسير الصالحات» من ص٨٩ إلى ص٩٧، وكتابي «حكم الإنكار في مسائل الخلاف» من ص٢٢ ـ إلى ص٣٠، ومن ص٣٩ إلى ص٤٢، ومن ص٥٨ إلى ص٧٠.

المطلب الحادي عشر
الخضوع للحق عند سماعه

ومما يُسْتفاد من هذه القصة انقياد المؤمنين وخضوعهم للحق إذا اتّضح لهم. حدث اختلاف حول بعث جيش أسامة رضي الله عنه، وإمارته لذلك الجيش. لكن سرعان ما عاد أهل الإيمان إلى الحق، وأذعنوا له لما ذكّرهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه أنّ النبي الكريم ﷺ قد أمر بتنفيذ هذا الجيش. وهو الذي عيّن أسامة أميراً على الجيش، وليس لأحد من المسلمين كائناً من كان أن يتخلّف عن تنفيذ أمره، كما أنّه لا يحقّ لأحد أنْ يغيِّر أو يبدِّل فيما أقرّه ﷺ. وكيف لا ينقاد أولئك الأبرار للأمر النبوي الكريم، وقد علموا أنه لا خيار لأحد بعد أمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ، كما بيّن ذلك الرب جل جلاله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾[(١)].

وهكذا كان موقف الصحابة رضي الله عنهم لما حصل اختلاف حول وفاة النبي الكريم ﷺ، وبيّن لهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه الحق[(٢)].

وهكذا حصل خلاف حول تعيين الخليفة بعد انتقال الرسول الكريم ﷺ إلى رحمة ربه تعالى فنبّه عمر بن الخطاب رضي الله عنه الأنصار إلى أن النبي ﷺ أمر أبا بكر رضي الله عنه بأن يؤمّ الناس، فلم يكن من الأنصار إلاّ الانقياد

---

(١) سورة الأحزاب/ الآية: ٣٦.
(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، رقم الحديث ٤٤٥٤، ٨/ ١٤٥.

والتسليم لإمارة من عيّنه النبي الكريم ﷺ إماماً في الصلاة[١].

وهكذا كان سلف هذه الأمة، كلما حصل بينهم خلاف، فبُيِّن لهم الحق انقادوا له وتمسكوا به. وما أكثر الشواهد الدالة على ذلك. ومنها ما يلي:

١ ـ نقض أبي بكر الصديق رضي الله عنه حكمه بقطع رجل السارق حينما ذُكِّر بكونه معارضاً للسنة[٢].

٢ ـ نقض عمر بن الخطاب رضي الله عنه قراره بمنع الزيادة على مهور النساء حينما نُبِّه بمخالفته للقرآن الكريم[٣].

٣ ـ نقض عمر بن الخطاب رضي الله عنه قراره بحرمان المرأة من دية زوجها عند معرفة معارضته للسنة[٤].

٤ ـ نقض الفاروق رضي الله عنه حكمه برجم المجنونة حينما أُخْبِر بحكم السنة فيها[٥].

٥ ـ رجوع الفاروق رضي الله عنه عن قوله في دية الأصابع عند معرفة معارضته للسنة[٦].

٦ ـ رجوع الفاروق رضي الله عنه عن حكمه بمنع الحائض من السفر قبل طواف

---

(١) انظر: المسند، رقم الحديث ١٣٣، ١/٢١٣ ـ ٢١٤، وسنن النسائي، كتاب الإمامة، ذكر الإمامة والجماعة. إمامة أهل العلم والفضل، ٢/٧٤ ـ ٧٥.
وقال عنه الحافظ ابن حجر: «وسنده حسن». (فتح الباري ١٢/١٥٣). وقال عنه الشيخ أحمد محمد شاكر: «إسناده صحيح». (هامش المسند ١/٢١٣).

(٢) انظر تخريج القصة في كتابي: «حكم الإنكار في مسائل الخلاف» ص٥٩.

(٣) انظر تخريج القصة في المرجع السابق ص٥٩.

(٤) انظر تخريج القصة في المرجع السابق ص٦٠.

(٥) انظر تخريج القصة في المرجع السابق ص٦١.

(٦) انظر تخريج القصة في المرجع السابق ص٦٢.

الوداع عند معرفة مخالفته للسنة[١].

٧ ـ ترك عثمان بن عفان رضي الله عنه رأيه بجواز أكل الصيد للمحرم إذا لم يصطده، ولم يأمر باصطياده، عند معرفة معارضته للسنة[٢].

٨ ـ رجوع علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن رأيه بتحريق المرتدين عند معرفة مخالفته للسنة[٣].

٩ ـ رجوع أبي هريرة رضي الله عنه عن قوله: «من أدركه الفجر جنباً فلا يصم» عند معرفة معارضته للسنة[٤].

١٠ ـ رجوع زيد بن ثابت رضي الله عنه عن رأيه بمنع الحائض من السفر قبل طواف الوداع عند معرفته مخالفته للسنة[٥].

١١ ـ رجوع معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما عن رأيه باستلام الركنين الشاميين عند معرفته مخالفته للسنة[٦].

١٢ ـ نقض معاوية رضي الله عنه قراره بالسير نحو بلاد الروم عند معرفته مخالفته للسنة[٧].

١٣ ـ نقض أمير فلسطين عمر بن سعد رضي الله عنه حكمه بتعذيب أهل الذمة

---

(١) انظر تخريج القصة في كتابي: «حكم الإنكار في مسائل الخلاف» ص٦٤.
(٢) انظر تخريج القصة في المرجع السابق ص٤٠ ـ ٤٢.
(٣) انظر تخريج القصة في المرجع السابق ص٢٥ ـ ٢٦.
(٤) انظر تخريج القصة في كتابي: «مسؤولية النساء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» ص٩٢ ـ ٩٣.
(٥) انظر ص٥٠ من هذا الكتاب.
(٦) انظر تخريج القصة في كتابي: «حكم الإنكار في مسائل الخلاف» ص٢٦ ـ ٢٧.
(٧) انظر تخريج القصة في المرجع السابق ص٦٦ ـ ٦٧.

عند معرفة مخالفته للسنة[١].

١٤ ـ نقض عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى قضاءه عند معرفته مخالفته لقضاء النبي الكريم ﷺ[٢].

١٥ ـ نقض القاضي سعد بن إبراهيم حكمه عند معرفة مخالفته حكم الرسول الكريم ﷺ[٣].

والله تعالى أسأل أن يجعلنا جميعاً على درب أولئك الأبرار في الخضوع للحق كلما اتضح لنا. آمين يا رب العالمين.

* * * *

---

(١) انظر تخريج القصة في كتابي «حكم الإنكار في مسائل الخلاف» ص٦٨.
(٢) انظر تخريج القصة في المرجع السابق ص٦٨ ـ ٧٠.
(٣) انظر تخريج القصة في المرجع السابق ص٧٠ ـ ٧١.

المطلب الثاني عشر
لا يُستَثنى من الاحتساب أحد

من الدروس المستفادة من هذه القصة أنه لا يُسْتَثْنى من الاحتساب أحد إذا صدر منه ما يقتضي الإنكار عليه، سواء أكان ذا منزلة رفيعة أم كان من عامة الناس، وسواء أكان قريباً أم كان بعيداً. صدر من الفاروق رضي الله عنه ما اقتضى الاحتساب عليه، حيث نقل رسالة الأنصار إلى الصدِّيق رضي الله عنهم متضمنة طلبَ عزلِ أسامة رضي الله عنه عن الإمارة، وتعيين شخصٍ آخر أقدم سناً منه أميراً على الجيش. وكان للفاروق من المنزلة ما لا تخفى على أحد، ولا على الصدِّيق رضي الله عنه. وهو الّذي قد قال عنه الناطق بالوحي رسولنا الكريم ﷺ: «**لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجال يُكلَّمون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكنْ في أمتي أحدٌ فعمر**»[١]. وقال ﷺ عنه أيضاً: «**والّذي نفسي بيده! ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً قط إلا سلك فجا غير فجك**»[٢]. وقال ﷺ عنه كذلك: «**لو كان نبيٌّ بعدي لكان عمر بن الخطاب**»[٣].

---

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه، رقم الحديث ٣٦٨٩، ٧/ ٤٢.

(٢) رواه الإمام البخاري في صحيحه كذلك عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، جزء من رقم الحديث ٣٦٨٣، ٧/ ٤١.

(٣) رواه الإمام الترمذي في جامعه عن عقبة بن عامر رضي الله عنه، أبواب المناقب، باب، رقم الحديث ٣٩٣٣، ١٠/ ١١٩. وقال عنه الشيخ الألباني: «حسن» (صحيح سنن الترمذي ٣/ ٢٠٤).

والّذي قال عنه عبدالله بن مسعود رضي الله عنهما: «ما زلنا أعزةً منذ أسلم عمر رضي الله عنه»[١].

إلى جانب هذا، كان عمر بن الخطاب وزيرَ أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، وساعده الأيمن، لكن لم يمنع هذا كلُه الصديقَ رضي الله عنه من الإنكار عليه لما صدر منه ما كان يستدعي الاحتساب عليه.

وهكذا فعل الصديق رضي الله عنه مع الفاروق رضي الله عنه لما أعلن أنه لم يمت النبي ﷺ. لم يتردّد الصديق في الاحتساب عليه رضي الله عنهما بل أعلنَ بالإنكار عليه، وعلى من رأى رأيه[٢]. وقام الصديق بالإنكار على الفاروق رضي الله عنهما كذلك لما طلب الفاروق رضي الله عنه منه أن يتلطّف بمانعي الزكاة ويرفق بهم[٣].

وهذا الذي فعله الصديق رضي الله عنه هو الذي أقّره الإسلام من أنّه حيثما رُؤي منكر سعى أهل الإيمان إلى تغييره، كل على قدر استطاعته، سواء أكان المنكر عند أهل العلم والفضل، أم كان عند عامة الناس، وسواء أكان عند قريب حبيب أم كان عند عدو بغيض. فقد روى الإمام مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من رأى منكم منكراً فليغيره**

---

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه، رقم الرواية ٣٦٨٤، ٧/ ٤١.

(٢) انظر: المرجع السابق، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، رقم الحديث ٤٤٥٤، ٨/ ١٤٥.

(٣) انظر: مشكاة المصابيح، كتاب المناقب، باب مناقب أبي بكر رضي الله عنه، الفصل الثالث، رقم الحديث ٦٠٢٥، ٣/ ١٧٠٠ ـ ١٧٠١، وانظر كذلك: مرقاة المفاتيح ١٠/ ٣٨٤.

بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»(١).

ولا يمنع علمُ عالِم أو فضلُ فاضل من الاحتساب عليه إذا وُجد ما يقتضي ذلك. وقد عنون الإمام ابن حبان في صحيحه حديثاً بقوله: «ذكر الاستحباب للمرء أن يأمر بالمعروف من هو فوقه ومثله ودونه في الدين والدنيا إذا كان قصدُه فيه النصيحة دون التعيير»(٢).

ولا تمنع كذلك قرابة قريب من الإنكار عليه إذا وُجد لديه ما يستدعي الإنكار عليه. قال عزّ من قائل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ ﴾(٣).

قال بعض المفسرين في تفسير الآية: «ثمرة الآية الدلالة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقيام بالقسط يدخل فيه الشهادة بالعدل والحكم به، وكذلك الفتوى، وأنَّ قول الحق لا يترك وجوبه بعدو ولا صديق، ولا يجوز اتباع الهوى»(٤).

وما أكثر الشواهد الدالة على اهتمام الصحابة رضي الله عنه بهذا الأمر. ومن تلك الشواهد ما أشير إليه في المطلب السابق من رجوع كبار الصحابة رضي الله عنهم إلى الحق لما احتُسِب عليهم بسبب معارضة ما فعلوه أو عزموا على فعلِه الكتابَ والسنةَ، ولم يُتْرَكِ الاحتسابُ على أولئك الكرام نظراً إلى منزلتهم

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان،...، رقم الحديث ٧٨(٤٩)، ١/ ٦٩.
(٢) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب البر والإحسان، باب الصدق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ١/ ٥٢١.
(٣) سورة المائدة/ جزء من الآية: ٨
(٤) نقلاً عن تفسير القاسمي ٦/ ١١٧.

الرفيعة، ومكانتهم العالية أو لاحترامهم وتقديرهم. وفي الحقيقة لم يكن في قرنهم المبارك ما يُشاهَد لدى كثير منا منْ تحمس شديد، واهتمام بالغ، وعناية فائقة بالاحتساب إذا كان تاركُ المعروف أو فاعلُ المنكر من عامة الناس، أو من الأجانب والأباعد؛ والبرودةِ المتناهية إذا كان من أصحاب المناصب أو الأقارب والأصدقاء حيث يصدق عليهم قول الشاعر:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة
كما أن عين السخط تبدي المساوي

لا جعلنا الله تعالى منهم، وجعلنا على سبيل الصحابة رضي الله عنهم الذين كانوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسهم أو الوالدين والأقربين آمين يا رب العالمين.

تنبيه:

لا يُفهم مما سبق ذكره أنه يُحتَسبُ على الأكابر وأصحاب المنزلة والمكانة كما يشاء المرء، بل هناك آداب لابد من مراعاتها عند الاحتساب عليهم كما بيّن ذلك علماء الحسبة.

* * * *

المطلب الثالث عشر
استخدام الشدّة في الاحتساب في بعض الأحوال

يرى بعض الناس أنّ الاحتساب لايكون إلا باللين والرفق في جميع الأحوال. إنَّ هذا الرأي تنقصه الدقة. مما لا شك فيه أنّ الأصل في الاحتساب أن يكون بلطف ولين؛ لكن هناك أحوال يعدل فيها إلى الشدّة والقسوة. ومن تلك الأحوال صدور مخالفة الشرع ممنْ لا يُتَوقَّع منه ذلك لعلمه وفضله. ففي تلك الحالة تستخدم معه الشدة[١].

وهذا مما نستفيده أيضاً من هذه القصة، وذلك أنه لما نَقَلَ عمر بن الخطاب إلى أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنهما طلبَ الأنصار بعزل أسامة رضي الله عنه عن إمارة الجيش، وتعيين شخص آخر أقدم سناً منه أميراً للجيش، غَضِبَ الصدِّيق على الفاروق رضي الله عنهما، واحتسب عليه بشدّة. فقد جاء في تاريخ الطبري: «فوثب أبو بكر رضي الله عنه ـ وكان جالساً ـ فأخذ بلحية عمر رضي الله عنه، فقال له: «ثكلتك أمك وعدمتك ياابن الخطاب! استعمله رسول الله ﷺ، وتأمرني أن أنزعه»[٢].

واستخدم أبو بكر الصديق رضي الله عنه كذلك الشدّة في الإنكار على عمر بن لخطاب رضي الله عنه لما اقترح عليه الفاروق رضي الله عنه بتألف مانعي الزكاة والرفق بهم، حيث لم يكن يُتَوقّع من الفاروق رضي الله عنه تقديم مثل هذا

---

(١) انظر للتفصيل في هذا الموضوع كتابي: «من صفات الداعية: اللين والرفق» ص٣٤ ـ ٥٨.

(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٢٢٦.

الاقتراح، وهو المعروف بالشدّة في دين الله تعالى. فقد قال له الصدِّيق رضي الله عنه آنذاك: «أجبار في الجاهلية وخوّار في الإسلام، إنه قد انقطع الوحي وتم الدين أينقص وأنا حي؟»[١].

إنّ استخدام أبي بكر الديق رضي الله عنه الشدة في الاحتساب عند صدور الخطأ ممن لا يُتوقَّع منه ذلك لم يكن إلا تأسياً بالرسول الكريم ﷺ الذي جعل الله تعالى فيه أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً. فهناك شواهد كثيرة تدلّ على استخدامه ﷺ الشدّة في الإنكار على من صدر منه ما لم يُتَوقَّع صدورُه من أمثاله، ومنْ تلك الشواهد ما يلي:

١ - روى الإمام أبو داود عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما قال: قَدِمتُ على أهلي ليلاً وقد تشققت يداي[٢]، فخلّقوني[٣] بزعفران. فغدوتُ على النبي ﷺ، فسلَّمتُ عليه فلم يردَّ عليَّ، ولم يرحِّب بي، وقال: «**اذهب فاغسل هذا عنك**» فذهبتُ فغسلته، ثم جئتُ وقد بقي عليَّ منه ردْع[٤]، فسلّمت، فلم يردّ عليَّ، ولم يرحِّب بي، وقال: «**اذهب فاغسل هذا عنك**».

فذهبت، فغسلتُه، ثم جئتُ، فسلّمتُ عليه، فردّ عليَّ، فرحّب بي، وقال: «**إن الملائكة لا تحضر جنازة الكافر بخير، ولا المتضمِّخ بالزعفران**[٥]

---

(١) انظر مشكاة المصابيح، كتاب المناقب، باب مناقب أبي بكر رضي الله عنه، الفصل الثالث، رقم الحديث ٦٠٢٥، ٣/ ١٧٠٠-١٧٠١.

(٢) (**تشققت يداي**): أي من إصابة الرياح واستعمال الماء كما يكون في الشتاء. (عون المعبود ١١/ ١٥٥).

(٣) (**فخلّقوني**): بتشديد اللام أي: جعلوا الخلوق في شقوق يدي للمداواة. (المرجع السابق ١١/ ١٥٥).

(٤) (**ردْع**): أي لطخ من بقية لون الزعفران. (المرجع السابق ١١/ ١٥٥).

(٥) (**المتضمِّخ بالزعفران**): أي المتلطخ به لأنه متلبس بمعصية حتى يقلع عنها. (المرجع السابق ١١/ ١٥٥).

ولاالجنب»

ورخّص للجنب إذا نام أو أكل أو شرب أن يتوضأ»[١]

٢ ـ ومنها: ما روى الإمام مسلم عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: رأى النبي ﷺ عليَّ ثوبين معصفرين[٢]، فقال: «**أأمك أمرتْك بهذا؟**».

قلتُ: أأغسِلُهما؟»

قال: «**بل أحرقهما**»[٣].

٣ ـ ومنها ما روى الإمام الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتنازع في القدر، فغضب حتى احمرّ وجهه، حتى كأنما فقئ في وجنيته الرمان[٤]، فقال: «**أبهذا أُمرتم أم بهذا أرسلتُ إليكم؟ إنما أهلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر. عزمتُ[٥] عليكم أنْ لا تنازعوا فيها**»[٦].

---

(١) سنن أبي داود (المطبوع مع عون المعبود)، كتاب الترجل، باب في الخلوق للرجال، رقم الحديث ٤١٧٠، ١١/ ١٥٥، وحسّنه الشيخ الألباني. (انظر: صحيح سنن أبي داود ٢/ ٧٨٨).

(٢) (**معصفرين**): أي مصبوغين بعصفر. والعصفر صبغ أصفر اللون. (هامش صحيح مسلم ٣/ ١٣٤٧).

(٣) صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن لبس الرجل الثوب المعصفر، رقم الحديث ٢٨(٢٠٧٧)، ٣/ ١٦٤٧.

(٤) (**حتى كأنما فقئ في وجنيته الرمان**): (فقيء): صيغة المجهول أي شق أو عصر. (وجنيته): أي خديه. (الرمان) أي: حبه. فهو كناية عن مزيد حمرة وجهه المنبئة عن مزيد غضبه. (انظر: تحفة الأحوذي ٦/ ٢٨٠).

(٥) (**عزمتُ**): أي أقسمتُ أو أوجبتُ. (المرجع السابق ٦/ ٢٨٠).

(٦) جامع الترمذي (المطبوع مع تحفة الأحوذي)، أبواب القدر، باب ما جاء من التشديد في الخوض في القدر، رقم الحديث ٢٢١٦، ٦/ ٢٧٩. وحسَّنه الشيخ =

وفي هذه الشواهد الثلاثة نجد أن النبي الكريم ﷺ استخدم الشدّة في الاحتساب حيث لم يردَّ على عمار بن ياسر رضي الله عنهما السلام، ولم يرحِّب به، وأمر عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما بتحريق ثوبين معصفرين، وغضب على الصحابة غضباً شديداً حتى احمرّ وجهه كأنما عُصِر على خدَّيه الرمان لما رآهم يتنازعون في القدر. ولعل هذه الشدة في الإنكار كانت بسبب صدور الأخطاء التي لم يكن يتوقع صدورها من أولئك الأبرار الذين سَعِدوا بتربية الرسول ﷺ وتزكيته إياهم.

وهناك شواهد أخرى لاستخدام النبي الكريم ﷺ الشدّة في الاحتساب عند بدور مخالفة الشرع لدى من لايُتَوقَّع منه ذلك. أشير إلى بعض منها فيما يلي:

١ ـ نهر النبي ﷺ الفاروق رضي الله عنه حين حلف بأبيه[١].
٢ ـ غضبه ﷺ على الفاروق رضي الله عنه بسبب انشغاله بقراءة التوراة[٢].
٣ ـ إنكاره ﷺ بالشدّة على عائشة رضي الله عنها عند رؤية نَمْرُقَة فيها تصاوير في حجرتها[٣].
٤ ـ زجره ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه على إطالة الصلاة من غير مراعاة أحوال المأمومين[٤].

= الألباني. (انظر: صحيح سنن الترمذي ٢/ ٢٢٣).

(١) انظر تخريج القصة في كتابي: «الحسبة في العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم» ص١٢.
(٢) انظر تخريج القصة في كتابي: «من صفات الداعية: اللين والرفق» ص٥٣.
(٣) انظر تخريج القصة في كتابي: «الحسبة في العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم» ص٦ ـ ٧.
(٤) انظر تخريج القصة في كتابي: «من صفات الداعية: اللين والرفق» ص٥١.

٥ ـ توبيخه ﷺ أبا ذر رضي الله عنه لما ساب غلامه[١].
٦ ـ غضبه ﷺ على من سأل عن التقاط ضالة الإبل[٢].
٧ ـ قوله ﷺ: «**ويلك**» لمن تأخر عن تنفيذ أمره بركوب الدابة[٣].
٨ ـ شدّته ﷺ على من تختَّم بالذهب[٤].
٩ ـ رفعه ﷺ الصوت في الإنكار على الصحابة الذين لم يُسْبِغوا الوضوء[٥].

* * * *

(١) انظر تخريج القصة في كتابي: «الحسبة في العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم» ص٩ ـ ١٠.
(٢) انظر تخريج القصة في كتابي: «من صفات الداعية اللين والرفق» ص٥١.
(٣) انظر تخريج القصة في المرجع السابق ص٥٢.
(٤) انظر تخريج القصة في المرجع السابق ص٥٣.
(٥) انظر تخريج القصة في كتابي: «الحسبة في العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم» ص١١.

المطلب الرابع عشر
العناية بجعل الدعوة مقرونة بالعمل

ومن الدروس التي نستفيدها من هذه القصة ضرورة العناية بجعل الدعوة مقرونة بالعمل. لما أصرّ أبوبكر الصديق رضي الله عنه على إبقاء أسامة بن زيد رضي الله عنهما أميراً للجيش حرصاً منه على التمسك بما قرّره رسول الله ﷺ، لم يقتصر على الإصرار على إمارته فحسب بل قدّم اعترافاً عملياً بإمارته. وقد تجلّى ذلك في أمرين. فلنقرأ عنهما ما جاء في تاريخ الطبري: «ثم خرج أبو بكر رضي الله عنه حتى أتاهم فأشخصهم، وشيّعهم، وهو ماش، وأسامة رضي الله عنه راكب، وعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه يقود دابة أبي بكر رضي الله عنه. فقال له أسامة: «يا خليفة رسول الله ﷺ! والله لتركبنَّ أو لأنزلنّ».

فقال: «والله! لا تنزل. ووالله! لا أركب، وما عليَّ أنْ أُغبِّر قَدَميَّ في سبيل الله ساعة، فإنّ للغازي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تُكْتَب له، وسبعمائة درجة تُرْفَع له، وتُرْفَع عنه سبعمائة خطيئة».

حتى إذا انتهى قال: «إنْ رأيتَ أن تعينني بعمر ـ رضي الله عنه ـ فافعل».

فأذن له[١].

ومما نجده في هذا الاقتباس ما يلي:

أولاً: مشي أبو بكر رضي الله عنه مع أسامة رضي الله عنه، وهو راكب، وقد كان ابن عشرين سنة أو ثماني عشرة سنة، وكان الصديق رضي الله عنه قد

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٢٢٦.

تجاوز ستين سنة من عمره. وليس هذا فحسب بل هو صاحب رسول الله ﷺ في الغار، وحبيبه، ووزيره، وخليفته من بعده، وأفضل هذه الأمة بعده ﷺ. وأصرّ على المشي مع أسامة رضي الله عنه، كما أصرّ على بقاء أسامة رضي الله عنه راكباً لما طلب منه أسامة رضي الله عنه إما أن يركب هو، أو يأذن له بالنزول؛ فلم يوافق رضي الله عنه لا على هذا ولا على ذاك. وبهذا قدّم رضي الله عنه باستمراره في مشيه ذلك دعوة لجيش أسامة رضي الله عنه إلى الاعتراف بإمارة أسامة رضي الله عنه، ورفع الحرج عنها من صدورهم، وأن يسلّموا لها تسليما. وكأنّ الصديق رضي الله عنه بمشيه ذلك يخاطب الجيش فيقول: «انظروا أيها المسلمون! أنا أبو بكر رغم كوني خليفة رسول الله ﷺ أمشي مع أسامة وهو راكب إقراراً وتقديراً لإمارته حيث أمّره رسولنا الكريم إمامنا الأعظم وقائدنا الأعلى صلوات ربي وسلامه عليه، فكيف تجرَّأتم أنتم على الانتقاد على إمارته؟

ثانياً: كان أبو بكر الصديق يرغب في بقاء عمر بن الخطاب رضي الله عنهما بالمدينة نظراً لحاجته إليه. لكنّه لم يأمره بذلك، بل استأذن من أسامة رضي الله عنه في تركه إياه بالمدينة إن رأى هو ذلك مناسباً. وبهذا قدّم الصديق رضي الله عنه صورة تطبيقية أخرى لاعترافه واحترامه لإمارة أسامة رضي الله عنه، وفيها بلا شك دعوة قوية للجيش إلى الإقرار والانقياد لإمارته.

وهذا الّذي اهتمّ به الصديق رضي الله عنه مِنْ جعلِ دعوته مقرونة بالعمل هو الذي أمر به الإسلام، ووبّخ الرب عز وجل أولئك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم. قال عز من قائل: ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[1] كما أنكر الله عز وجل على الذين يقولون ما لا يفعلون. قال سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝

(١) سورة البقرة/ الآية: ٤٤.

كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[١].

وبيّن النبي الكريم ﷺ سوء عاقبة من لم يوافق فعلُه قولَه. فقد روى الإمام البخاري عن أسامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يُجاء بالرجل فيطرح في النار فيطحن فيها كما يطحن الحمار برحاه. فيطيف به**[٢] **أهل النار فيقولون: «أي فلان! ألستَ كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟»**.

فيقول: إني كنت آمر بالمعروف ولا أفعله، وأنهى عن المنكر وأفعله»[٣].

وما فعله الصديق رضي الله عنه مِنْ جعل دعوته مقرونةً بالعمل قد تأسّى فيه بالرسول الكريم ﷺ. فقد كان صلوات ربي وسلامه عليه شديد العناية بهذا الأمر. وما أكثر الشواهد الدالة على ذلك في سيرته العطرة. ومنها ما يلي:

١ ـ أراد النبي الكريم ﷺ نهي الناس عن لبس خواتيم من ذهب فنبذ خاتماً من ذهب كان قد اتخذه وقال: «**إني لن ألبسه أبداً**». فقد روى الإمام البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «**اتخذ النبي ﷺ خاتماً من ذهب، فاتخذ الناس خواتيم من ذهب، فقال النبي ﷺ: «إني اتخذت خاتماً من ذهب» فنبذه، وقال: «إني لن ألبسه أبداً»**.

فنبذ الناس خواتيمهم[٤].

---

(١) سورة الصف/ الآيتان: ٢ ـ ٣.

(٢) (**فيطيف به**): يقال: «أطاف به القوم» إذا حلقوا حوله حلقة وإن لم يدوروا. و«طافوا» إذا داروا حوله. (انظر: فتح الباري ١٣/ ٥٢).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب الفتنة التي تموج كموج البحر، رقم الحديث ٧٠٩٨، ١٣/ ٤٨.

(٤) المرجع السابق، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بأفعال النبي ﷺ، رقم الحديث ٧٢٩٨، ١٣/ ٢٧٤.

٢ ـ بعد معركة حنين لما جاء وفد بني هوازن إلى رسول الله ﷺ، وأراد ﷺ أن يردّ المسلمون سبيهم إليهم أعلن أولاً بردِّ ما كان له، ولبني هاشم من سبي بني هوازن إليهم، ثم حثّ المسلمين على ردّ سبيهم. فقد روى الإمام البخاري عن مروان والمسور بن مخرمة أنَّ رسول الله ﷺ قام في المسلمين، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: «**أما بعد فإن إخوانكم قد جاءونا تائبين، وإني قد رأيت أن أردّ عليهم سبيهم، فمن أحب أن يطيِّب**[١] **ذلك فليفعل. ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفيءُ الله علينا فليفعل**».

فقال الناس: «قد طيّبنا ذلك يا رسول الله»[٢].

وفي رواية أخرى: «وقد رددتُ الذي لبني هاشم عليهم»[٣].

وفي رواية أخرى كذلك: فقال المهاجرون: «ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ».

وقالت الأنصار كذلك[٤].

٣ ـ لما أعلن رسول الله ﷺ في خطبته بوادي عُرَنة في حجة الوداع إبطالَ أفعالِ الجاهلية وبيوعها ودماءها بدأ بإبطال ما كان يخصّ أقاربه. فقد روى الإمام مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: فأتى (النبي الكريم ﷺ) بطن الوادي[٥]

---

(١) (**أن يطيِّب ذلك**): أي يعطيه عن طيب نفسه منه من غير عوض. (فتح الباري ٨/ ٣٤).

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ... الآية﴾، جزء من الحديثين ٤٣١٨، ٤٣١٩، ٨/ ٣٢ ـ ٣٣.

(٣) انظر: فتح الباري ٨/ ٣٣.

(٤) انظر: المرجع السابق ٨/ ٣٣.

(٥) (**بطن الوادي**): هو وادي عرنة. (هامش صحيح مسلم ٢/ ٨٨٩).

فخطب الناس فقال: «**إنّ دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا في بلدكم هذا. ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدميَّ موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة. وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث**[١]. **كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل. وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع ربانا، ربا عباس بن عبدالمطّلب رضي الله عنه فإنه موضوع كله**»[٢].

قال الإمام النووي تعليقاً على قوله ﷺ: «**ألا كل شيء... فإنه موضوع كله**»: «في هذه الجملة إبطال أفعال الجاهلية وبيوعها التي لم يتصل بها قبض، وأنه لا قصاص في قتلها، وأن الإمام وغيره ممن يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر ينبغي أن يبدأ بنفسه وأهله فهو أقرب إلى قبول قوله»[٣].

فخلاصة الكلام أن مما يُستفاد من قصة إنفاذ الصديق جيش أسامة رضي الله عنهم عناية الصديق رضي الله عنه بجعل دعوته مقرونة بالعمل، وقد كان في ذلك مقتدياً ومتأسيًا بالرسول الكريم صلوات ربي وسلامه عليه.

* * * *

---

(١) (**ابن ربيعة بن الحارث**): والحارث هو ابن عبدالمطَّلب. (انظر شرح النووي ٨/ ١٨٢).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، جزء من رقم الحديث ١٤٧ (١٢١٨)، ٢/ ٨٨٦ ـ ٨٨٩.

(٣) شرح النووي ٨/ ١٨٢.

المطلب الخامس عشر
مكانة الشباب في خدمة الإسلام

ومما يتجلّى في هذه القصة كذلك منزلة الشباب العظيمة في خدمة الإسلام. فقد عيَّن رسول الله ﷺ الشابَ أسامة بن زيد رضي الله عنهما أميراً على الجيش المعَدّ لقتال الروم ـ القوة العظمى في زعم الناس في ذلك الوقت ـ وكان عمره آنذاك عشرين سنة، أو ثماني عشرة سنة. وأقرّه أبوبكر الصديق رضي الله عنه على منصبه رغم انتقاد الناس. وعاد الأمير الشاب بفضل الله تعالى من المهمة التي أسْنِدَتْ إليه غانماً ظافراً.

وفي هذا توجيه للشباب في معرفة مكانتهم في خدمة الإسلام.

ولو نعيد النظر في تاريخ الدعوة الإسلامية في مرحلتي المكية والمدنية لوجدنا شواهد كثيرة تدلّ على ما قام به شباب الإسلام في خدمة القرآن والسنة، وإدارةِ أمور الدولة الإسلامية، والمشاركة في الجهاد في سبيل الله تعالى.

فعلى سبيل المثال كان من كتَّاب الوحي علي بن أبي طالب[١]، وزيد بن ثابت[٢]، ومعاوية بن أبي سفيان[٣] رضي الله عنهم. وكان عمر علي رضي الله

(١) انظر جوامع السيرة للإمام ابن حزم ص٢٦.
(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، رقم الحديث ٤٩٨٦، ٩/ ١٠ ـ ١١.
(٣) انظر: المسند، رقم الحديث ٢٦٥١، ٤/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧. وانظر أيضاً: جوامع السيرة ص٢٦، وسير أعلام النبلاء ٣/ ١٢٣، وتقريب التهذيب ص٣٤١.

عنه عند وفاته ﷺ أربعاً وثلاثين سنة[١]، وعمر زيد رضي الله عنه اثنتين وعشرين سنة[٢]، وعمر معاوية رضي الله عنه حوالي ثمان وعشرين سنة[٣].

وممن مهروا بالقرآن ونالوا شهادة الأستاذية في تدريسه من المعلم الأعظم من الخلق صلوات ربي وسلامه عليه هم: ابن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، وأُبي بن كعب، ومعاذ بن جبل رضي الله عنهم. فقد روى الإمام البخاري عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**استقرئوا القرآن من أربعة: من عبدالله بن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، وأُبي بن كعب، ومعاذ بن جبل**»[٤]. رضي الله عنهم.

وقال الحافظ ابن حجر مبيِّناً حكمة تخصيص هؤلاء الأربعة بأخذ القرآن عنهم: «وتخصيص هؤلاء الأربعة بأخذ القرآن عنهم إما لأنهم كانوا أكثر ضبطاً له وأتقن لأدائه، أو لأنّهم تفرّغوا لأخذه عنه مشافهة، وتصدّوا لأدائه من بعده، فلذلك ندب إلى الأخذ عنهم، لا أنه لم يجمعْه غيرُهم»[٥].

---

(١) انظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر حيث جاء فيه: «مات في رمضان سنة أربعين، وله ثلاث وستون سنة على الأرجح». (ص٢٤٦)، وعلى هذا كان عمره ثلاثاً وعشرين سنة عند الهجرة، وأربعاً وثلاثين سنة عند وفاته ﷺ.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء حيث جاء فيه: «فلما هاجر النبي ﷺ، أسلم زيد رضي الله عنه وهو ابن إحدى عشرة سنة» (٢/ ٤٢٧، ٤٢٨) وعلى هذا له اثنتان وعشرون سنة عند وفاته ﷺ.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء حيث جاء فيه: «مات معاوية رضي الله عنه في رجب سنة ستين، وعاش سبعاً وسبعين سنة» (٣/ ١٦٢) وعلى هذا يكون عمره عند الهجرة سبع عشرة سنة، وعند وفاته ﷺ ثمان وعشرين سنة.

(٤) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، رقم الحدث ٣٧٦٠، ٧/ ١٠٢.

(٥) فتح الباري ٧/ ١٠٢.

وكان عمر ابن مسعود رضي الله عنه عند وفاة النبي ﷺ حوالي تسع وثلاثين سنة[١]، وهو الذي قال عنه ﷺ: «**من أحب أن يقرأ القرآن غضًّا كما أُنْزِل فليقرأ على قراءة ابن أم عبد**»[٢] رضي الله عنهما.

ومن أولئك الأربعة معاذ بن جبل رضي الله عنه الذي كان عمره عند وفاته ﷺ حوالي إحدى وثلاثين سنة[٣].

وممن اشتهروا بخدمة السنة المطهرة، وكانوا أكثر الصحابة روايةً: ستة أشخاص، وهم: أبو هريرة، وعبدالله بن عمر، وأنس بن مالك، وعائشة الصدِّيقة، وعبدالله بن عباس، وجابر بن عبدالله رضي الله عنهم، وقد كانت أعمارهم وقت وفاة النبي الكريم ﷺ على النحو التالي:

١ ـ أبو هريرة رضي الله عنه ٣٢ سنة[٤].

---

(١) انظر: فتح الباري حيث جاء فيه: «ومات في خلافة عثمان رضي الله عنه سنة اثنتين وثلاثين، وقد جاوز الستين» (٧/ ١٠٣) وعلى هذا يكون عمره عند الهجرة حوالي ثمان وعشرين سنة، وحوالي تسع وثلاثين سنة عند وفاته ﷺ.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند عن عبدالله رضي الله عنه، جزء من الحديث ٤٢٥٥، ٦/ ١٢٨ ـ ١٢٩. وصحَّح الشيخ أحمد محمد شاكر إسناده. (انظر: هامش المسند للشيخ أحمد شاكر ٦/ ١٢٨).

(٣) انظر سير أعلام النبلاء حيث جاء فيه: «توفي معاذ رضي الله عنه سنة سبع أو ثمان عشرة، وهو ابن ثمان وثلاثين سنة». (١/ ٤٦١). وعلى هذا يكون عمره عند وفاته ﷺ حوالي إحدى وثلاثين سنة، وانظر أيضاً: تقريب التهذيب ص٣٤٠.

(٤) انظر: تقريب التهذيب حيث جاء فيه: «مات سنة سبع، وقيل: سنة ثمان، وقيل: تسع وخمسين، وهو ابن ثمان وسبعين سنة» (ص٤٣١). وعلى حسب القول الأول (مات سنة سبع وخمسين) يكون عمره عند الهجرة إحدى وعشرين =

٢ ـ عبدالله بن عمر رضي الله عنهما ٢٢ سنة(١).
٣ ـ أنس بن مالك رضي الله عنه ٢٠ سنة(٢).
٤ ـ عائشة الصديقة رضي الله عنها ١٨ سنة(٣).
٥ ـ عبدالله بن عباس رضي الله عنهما ١٥ سنة(٤).

= سنة، واثنتين وثلاثين سنة عند وفاته ﷺ. وعدد مروياته خمسة آلاف وثلاث مئة وأربعة وسبعون حديثاً. (انظر: سير أعلام النبلاء ٢/ ٦٣٢).

(١) انظر: تقريب التهذيب حيث جاء فيه: «استُصْغر يوم أحد وهو ابن أربع وعشرة سنة» (ص١٨٢) وحيث كانت غزوة أحد في السنة الثالثة من الهجرة يكون عمره عند وفاة النبي ﷺ اثنتين وعشرين سنة. وقال الحافظ الذهبي: «ولابن عمر رضي الله عنهما في مسند بقي ألفان وست مئة وثلاثون حديثاً بالمكرر». (سير أعلام النبلاء ٣/ ٢٣٨).

(٢) فقد روى الإمام مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: «قدم النبي ﷺ المدينة وأنا ابن عشر، ومات وأنا ابن عشرين». (صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب استحباب إدارة الماء واللبن ونحوهما عن يمين المبتدئ، رقم الحديث ١٢٥ (٢٠٢٩)، ٣/ ١٦٠٣) وعدد أحاديثه ألفان ومئتان وستة وثمانون. (انظر سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٠٦).

(٣) قال الحافظ ابن حجر عنها رضي الله عنها: «ومات النبي ﷺ ولها نحو ثمانية عشر عاماً، وقد حفظتْ عنه شيئاً كثيراً حتى قيل: إنَّ ربع الأحكام الشرعية منقول عنها رضي الله عنها» (فتح الباري ٧/ ١٠٧) وعدد أحاديثها ألفان ومائتان وعشرة أحاديث. (انظر: سير أعلام النبلاء ٢/ ١٣٩).

(٤) فقد روى الإمام الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «توفي النبي ﷺ وأنا ابن خمس عشرة سنة» (المستدرك على الصحيحين، كتاب معرفة الصحابة، ٣/ ٥٣٣). وصحّحه الإمام الحاكم على شرط الشيخين (انظر: المرجع السابق ٣/ ٥٣٤) ووافقه الحافظ الذهبي. (انظر: التلخيص ٣/ ٥٣٣ ـ ٥٣٤). ورواه الطبراني كذلك. (انظر مجمع الزوائد ٩/ ٢٨٥). وعدد مروياته ألف وست مائة =

٦ - جابر بن عبدالله رضي الله عنهما ٢٧ سنة أو ٢٨ سنة[١].

ووصف النبي ﷺ علي بن أبي طالب بأنه أقضى الأمة، ومعاذ بن جبل رضي الله عنه بأنه أعلمهم بالحلال والحرام، وزيد بن ثابت رضي الله عنه بأنه أفرضهم. فقد روى الإمام ابن ماجه عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «**أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان، وأقرؤهم لكتاب الله أُبي بن كعب، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت**»[٢].

وكل هؤلاء الثلاثة كانوا شباباً حتى عند وفاة رسول الله ﷺ.

وبعث النبي ﷺ علياً رضي الله عنه إلى اليمن قاضياً كذلك. فقد روى الإمام أبو داود عن علي رضي الله عنه قال: «بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن قاضياً، فقلت: «يا رسول الله! ترسلني وأنا حديث السن، ولا علم لي بالقضاء؟»».

فقال: «**إنّ الله سيهدي قلبك، ويثبِّت لسانك. فإذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضينَّ حتى تسمع من الآخر كما سمعتَ من الأول؛ فإنه أحرى أن**

= وستون حديثاً. (انظر: سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٥٩).

(١) مات جابر رضي الله عنه سنة ثمان وسبعين أو سنة سبع وسبعين. وقيل: إنه عاش أربعاً وتسعين سنة. (انظر: سير أعلام النبلاء ٣/ ١٩٤) وعلى هذا يكون عمره عند الهجرة ست عشرة أو سبع عشرة سنة، وعند وفاة النبي ﷺ سبعاً و عشرين أو ثمان وعشرين سنة.
وعدد مروياته ألف وخمس مئة وأربعون حديثاً. (انظر: المرجع السابق ٣/ ١٩٤).

(٢) سنن ابن ماجه، المقدمة، فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، رقم الحديث ١٤١، ١/ ٣٠ وقال عنه الشيخ الألباني: «صحيح». (صحيح سنن ابن ماجه ١/ ٣١).

يتبيَّن لك القضاء».

قال: «فما زلتُ قاضياً، أو ما شككتُ في قضاء بعد»[١].

وإلى جانب هذا، قد كان للشباب إسهام عظيم في الجهاد في سبيل الله تعالى، فقد كان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أول العرب رَمَى بسهم في سبيل الله تعالى. فقد روى الإمام البخاري عن سعد رضي الله عنه قال: «إني أول العرب رمي بسهم في سبيل الله»[٢]. وقد كان ذلك في سرية عبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب، وهي أول سرية بعثها رسول الله ﷺ في السنة الأولى من الهجرة[٣]. وكان عمر سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه آنذاك سبعاً وعشرين سنة[٤].

وكان الشاب علي بن أبي طالب رضي الله عنه أحد الثلاثة الذين تبارزوا يوم بدر. فقد روى الإمام البخاري عن قيس بن عُباد قال: سمعت أبا ذر رضي الله عنه يُقْسِم قسما: «إنّ هذه الآية: ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ﴾ نزلت في الذين برزوا يوم بدر: حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم، وعتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة»[٥].

---

(١) سنن أبي داود، كتاب القضاء، باب كيف القضاء، رقم الحديث ٣٥٧٧، ٩/ ٣٦١. وحسَّنه الشيخ الألباني. (انظر: صحيح سنن أبي داود ٢/ ٦٨٤).

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب سعد بن أبي وقاص الزهري رضي الله عنه، رقم الحديث ٣٧٢٨، ٧/ ٨٣.

(٣) انظر: فتح الباري ٧/ ٨٤.

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء حيث جاء فيه: «عن إبراهيم بن سعد رضي الله عنه أن سعداً رضي الله عنه مات وهو ابن اثنتين وثمانين سنة، في سنة ست وخمسين». (١/ ١٢٤) وعلى هذا كان لسعد رضي الله عنه عند الهجرة ست وعشرون سنة، وعند بعثه في السرية كان عمره سبعاً وعشرين سنة.

(٥) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل، رقم الحديث ٣٩٦٩، ٧/ ٢٩٧.

وفي غزوة خيبر كان حاملُ الراية الذي فتح الله تعالى عليه الشاب علي بن أبي طالب رضي الله عنه. فقد روى الإمام البخاري عن سلمة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لأعطينّ الراية غداً ـ أو ليأخذنّ الراية غداً ـ رجل يحبّه الله ورسوله يُفْتَح عليه**».

فنحن نرجوها. فقيل: «هذا علي» رضي الله عنه.
فأعطاه، ففُتِح عليه»[١].

وكتب الله تعالى سعادة قتل عدو الله أبي جهل للشابين الصغيرين: معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء رضي الله عنهم. فقد روى الإمام البخاري عن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: «إني لفي الصف يومَ بدر إذا التفتُ فإذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السن، فكأني لم آمن بمكانهما، إذ قال لي أحدهما سراً من صاحبه: «يا عم أرني أبا جهل».
فقلتُ: «يا ابن أخي! وما تصنع به؟».
قال: «عاهدتُ الله إن رأيتُه أن أقتلَه أو أموتَ دونه».
فقال لي الآخر سراً من صاحبه مثله.
قال: «فما سَرَّني أني بين رجلين مكانهما، فأشرتُ لهما إليه، فشدّا عليه مثل الصقرين[٢] حتى ضرباه، وهما ابنا عفراء». رضي الله عنهم[٣].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي باب غزوة خيبر، رقم الحديث ٤٢٠٩، ٧/٤٧٦.
(٢) (**الصقرين**): تثنية صقر، وهو من سباع الطير، وأحد الجوارح الأربعة وهي: الصقر، والبازي، والشاهين، والعقاب. وشبّههما به لما اشتهر عنه من الشجاعة والشهامة والإقدام على الصيد، ولأنه إذا تشبث بشيء لم يفارقه حتى يأخذه. (انظر: فتح الباري ٧/٣٠٨).
(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب، رقم الحديث ٣٩٨٨، ٧/٣٠٧ ـ ٣٠٨.

وإلى جانب ذلك، قام الشباب من الصحابة بالمهام الإدارية بتكليف من الرسول الكريم ﷺ. ومما يدل على هذا أنّ النبي ﷺ ولّى علي بن أبي طالب رضي الله عنه على الأخماس باليمن[١]، كما ولّى أبا موسى الأشعري رضي الله عنه زبيد وعدن ورمع، والساحل[٢]، وعيَّن معاذ بن جبل رضي الله عنه على مخلاف[٣] من اليمن. فقد روى الإمام البخاري عن أبي بردة قال: «بعث رسول الله ﷺ أبا موسى ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما إلى اليمن، وبعث كل واحد منهما إلى مخلاف، واليمن مخلافان»[٤].

وقد كان أبو موسى الأشعري رضي الله عنه شاباً عندما بُعِث إلى اليمن مثل معاذ بن جبل رضي الله عنه حيث كان عمره حوالي ثلاثين سنة عند وفاة النبي ﷺ[٥].

---

(١) انظر: جوامع السيرة للإمام ابن حزم ص٢٤، وانظر أيضاً: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد رضي الله عنهما إلى اليمن قبل حجة الوداع، رقم الحديث ٤٣٥٠، ٨/ ٦٦.

(٢) انظر: جوامع السيرة ص٢٣.

(٣) **(مخلاف)**: بكسر الميم وسكون الخاء وآخره فاء، وهو لغة أهل اليمن، وهو الكورة والأقليم والرستاق بضم الراء وسكون السين. وكانت جهة معاذ رضي الله عنه العليا إلى صوب عدن، وكان من عمله الجَنَد بفتح الجيم والنون، وكانت جهة أبي موسى رضي الله عنه السفلى. (انظر: فتح الباري ٨/ ٦١).

(٤) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى معاذ رضي الله عنهما إلى اليمن قبل حجة الوداع، جزء من رقمي الحديثين ٤٣٤١ و ٤٣٤٢، ٨/ ٦٠.

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء حيث جاء فيه: «وقد ذكرتُ في طبقات القراء: «توفي أبو موسى رضي الله عنه في ذي الحجة سنة أربع وأربعين على الصحيح». (٢/ ٣٩٨). وقال الحافظ أبو بكر بن أبي شيبة: «عاش ثلاثاً وستين سنة». (نقلاً =

وهناك شواهد أخرى كثيرة يتجلّى فيها ما قام به شباب الصحابة رضي الله عنه من خدمات جليلة للدعوة الإسلامية. ولا يُفْهم من هذا أنّ الشباب يستغنون عن توجيه الشيوخ ورعايتهم؛ بل إن مصلحة الدعوة تقتضي اجتماع تجربة الشيوخ وحلمهم مع قوة الشباب وفتوتهم، وهذا الذي قد تحقق بفضل الله تعالى في القرون المفضلة.

* * * *

= عن الإصابة ٤/ ١٢٠) وعلى هذا يكون عمره عند الهجرة حوالي تسع عشرة سنة، وحوالي ثلاثين سنة عند وفاة النبي الكريم ﷺ.

المطلب السادس عشر
صورة الجهاد الإسلامي

ومن فوائد هذه القصة أنها تقدم لنا صورة للجهاد الإسلامي. وقد تجلّت تلك الصورة في وصية أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه لجيش أسامة رضي الله عنه عند توديعه إياهم. فقد روى الإمام الطبري أنه رضي الله عنه قال:

«أيها الناس! قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني: «لا تخونوا ولا تُغِلّوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تعقِروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة. وسوف تمرّون بأقوام قد فرّغوا أنفسهم في الصوامع، فَدَعَوهم وما فرَّغوا أنفسهم له، وسوف تقدَمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام، فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها. وتلقون أقواماً قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب، فأخفقوهم بالسيف خفقاً. اندفعوا باسم الله، أفناكم الله بالطعن والطاعون»[١].

ولم تكن وصية الصديق رضي الله عنه هذه لجيش أسامة رضي الله عنه فحسب، بل وصّى بها غيره. فقد روى الإمام مالك عن يحيى بن سعد أن أبا بكر الصدِّيق رضي الله عنه بعث جيوشاً إلى الشام، فخرج يمشي مع يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنهما، وكان أمير ربع من تلك الأرباع، فزعموا أن يزيد رضي الله عنه قال لأبي بكر رضي الله عنه:

«إما أن تركب، وإما أن أنزل».

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٢٢٦ ـ ٢٧٧.

فقال أبو بكر رضي الله عنه: «ما أنت بنازل، وما أنا براكب، إني أحتسب خطاي هذه في سبيل الله».

ثم قال له: «إنك ستجد قوماً زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله فذرهم وما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم له. وستجد قوماً فحصوا عن أوساط رؤوسهم من الشعر، فاضرب ما فحصوا عنه بالسيف، وإني موصيك بعشر:

«لا تقتلنّ امرأة، ولا صبيا، ولا كبيراً هرماً، ولا تقطعنَّ شجراً مثمراً، ولا تخربنَّ عامراً، ولا تعقرن شاة، ولا بعيراً إلا لمأكلة، ولا تحرقن نخلاً، ولا تفرقنّه، ولا تغلل، ولا تجبن»(١).

ولم يكن أبو بكر الصديق رضي الله عنه في وصاياه للجيوش إلا مستنّاً بسنة المصطفى ﷺ حيث كان عليه الصلاة والسلام يوصي الأمراء والجيوش عند توديعهم. فقد روى الإمام مسلم عن بريدة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: **«اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله. اغزوا، ولا تغلّوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال (أو خلال)، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكفَّ عنهم»**. الحديث(٢).

---

(١) الموطأ، كتاب الجهاد، النهي عن قتل النساء والولدان في الغزو، رقم الرواية ١٠، ٢/٤٤٧ و ٤٤٨.
وروى نحوه الإمام سعيد بن منصور. انظر: سنن سعيد بن منصور، كتاب الجهاد، باب ما يؤمَرُ به الجيوش إذا خرجوا، رقم الرواية ٢٣٨٣، ٢/١٤٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها، جزء من الحديث ٣(١٧٣١)، ٣/١٣٥٧.

ويمكننا أن نجمل ما جاء في وصية الصديق رضي الله عنه لجيش أسامة فيما يلي:

- الابتعاد عن الخيانة والغلول.
- اجتناب الغدر.
- عدم تشويه القتلى بقطع الأنوف والآذان.
- الامتناع عن قتل الأطفال.
- الامتناع عن قتل المسنّين.
- الامتناع عن قتل النساء.
- عدم إتلاف الأشجار.
- عدم إتلاف الحيوانات.
- عدم التعرض لمن لم يشارك في الحرب.
- الاهتمام بذكر الله تعالى عند أكل الطعام.
- قتل من كان فيهم رأي في عداوة المسلمين وقتالهم.

وما جاء في وصية الصديق رضي الله عنه لم يكن كلماتٍ قيلت بل طبَّقها المسلمون في عصره وبعده. وفيما يلي يجد القارئ بعض الشواهد تدلّ على هذا:

أ ـ روى الإمام الطبري أن خالد بن الوليد رضي الله عنه بعث إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه بالفتح والهدايا مع الهذيل الكاهلي، فقبلها أبو بكر رضي الله عنه من الجزاء[1]، وكتب إلى خالد رضي الله عنه أن احسب لهم هديتهم من الجزاء إلا أن تكون من الجزاء[2].

---

(١) الجزاء: الجزية.

(٢) انظر: تاريخ الطبري ٣/ ٣٦٢.

الله أكبر! ما أشد اهتمام الصديق رضي الله بالعدل في تعامله مع الأعداء، فلا يقبل أن يؤخذ منهم شيء زائداً على ما فُرِض عليهم من الجزية، حتى ولو كان باسم الهدية.

ب ـ لما قتل الله تعالى مسيلمة الكذاب وهزم بني حنيفة، قال مجاعة[١] لخالد رضي الله عنه: «ما جاءك إلا سرعان الناس، وإن الحصون لمملوءة».

فقال: «ويلك ما تقول».

قال: «هو والله! الحق. فهلّم إلى الصلح على ما ورائي».

فصالحه على كل شيء دون النفوس. وقال: «أنطلِق إليهم فأشاوِرهم».

فانطلق إليهم، وليس في الحصون إلا النساء والصبيان ومشيخة فانية ورجال ضعفى، فألبسهم الحديد، وأمر النساء أن ينشرن شعورهنَّ ويشرفن على الحصون حتى يرجع إليهم.

فرجع إلى خالد رضي الله عنه، فقال: «قد أبوا أن يجيزوا ما صنعتُ، وقد أشرف لك بعضُهم نقضاً عليَّ، وهم في براء».

فرأى خالد رضي الله عنه الحصون مملوءة، وقد نهكت المسلمين الحرب، وطال اللقاء، وأحبوا أن يرجعوا على الظفر. ولم يدروا ما هو كائن لو كان فيها رجال وقتال. وقد قُتِل من المهاجرين والأنصار من المدينة يومئذ ثلثمائة وستون، ومن المهاجرين من غير المدينة ثلثمائة رجل، وقُتِل ثابت بن قيس رضي الله عنه.

وصالحه خالد رضي الله عنه على الذهب والفضة والسلاح ونصف

---

(١) مجاعة: هو مجاعة بن مرارة أحد رؤساء بني حنيفة، وكان قد أسره المسلمون مع مجموعة من أصحابه قبل معركة اليمامة، وقتلهم خالد رضي الله عنه، واستبقاه لشرفه في بني حنيفة. (انظر: الكامل لابن الأثير ٢/ ٢٤٥).

السبي، وقيل: ربعه.

فلما فتحت الحصون لم يكن فيها إلا النساء والصبيان والضعفاء، فقال خالد رضي الله عنه لمجاعة: «ويحك خدعتَني».

فقال: «هم قومي، ولم أستطع إلا ما صنعتُ»[١].

وقد بعث أبو بكر رضي الله عنه بكتاب إلى خالد رضي الله عنه مع سلمة بن سلامة بن وقش، يأمره إنْ ظفر الله عز وجل أن يقتل من جرتْ عليه المواسي من بني حنيفة[٢].

فقدِم فوجده قد صالحهم فوفى لهم ولم يغدر[٣].

ومما نجده في هذه القصة أنه قد توفر سببان لنقض خالد رضي الله عنه العهد وهما:

١ ـ مخادعة مجاعة خالداً رضي الله عنه حيث ذكر أن الحصون مملوءة، ولم يكن فيها إلا النساء والصبيان والضعفاء من الرجال.

٢ ـ ورود أمر الصدِّيق رضي الله عنه إلى خالد رضي الله عنه بقتل كل منْ بلغ سنَّ الرشد من بني حنيفة لكن خالداً رضي الله عنه رغم هذا وذاك، آثر الوفاء على الغدر.

جـ ـ وفي عصر الفاروق رضي الله عنه بعث رستم ـ القائد الفارسي ـ أميراً يقال له «جابان»، فالتقى مع أبي عبيد بمكان يُقال له: النمارق ـ بين الحيرة والقادسية ـ، وهزم الله تعالى الفرس، وأُسِر «جابان»[٤] أسره

---

(١) انظر: الكامل ٢/ ٢٤٧.
(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٢٩٩.
(٣) انظر: الكامل ٢/ ٢٤٧.
(٤) انظر: البداية والنهاية ٧/ ٢٧.

مطر بن فضة التيمي، فخدعه جابان وقال له: «هل لك أن تؤمنني وأعطيك غلامين أمردين خفيفين في عملك؟ وكذا وكذا».

ففعل، فخلا عنه.

فأخذه المسلمون، وأتوه به أبا عبيدة، وأخبروه أنه جابان، وأشاروا عليه بقتله.

فقال: «إني أخاف الله أن أقتله، وقد أمِنَه رجل مسلم، والمسلمون في التوادد والتناصر كالجسد الواحد ما لزِم بعضَهم فقد لزِم كلَّهم».

فقالوا له: «إنه الملك».

قال: «وإن كان، لا أغدر».

فتركه[1].

ولا يخفى ما لقتل أميرِ جيش العدو منْ أثر في هزيمة العدو، ورفع معنويات الجيش الإسلامي، لكن مع هذا آثر أبو عبيدة رحمه الله تعالى الوفاء على الغدر، فلم يوافق على قتل الأمير الفارسي حيث قد أمِنه رجل من المسلمين، وإن كان قد أعطى الأمان على جهل.

د ـ وروى الإمام عبدالرزاق عن فضيل الرقاشي قال: «شهدتُ قرية من قرى فارس يقال لها: «شاهرتا» فحاصرناها شهراً، حتى إذا كان ذات يوم، وطمعنا أن نصبِّحهم، انصرفنا عنهم عند المقيل، فتخلّف عبدٌ لنا. فاستأمنوه، فكتب إليهم في سهم أماناً، ثم رمى به إليهم. فلما رجعنا إليهم خرجوا في ثيابهم، ووضعوا أسلحتهم.

فقلنا: «ما شأنكم؟».

---

(١) انظر: الكامل ٢/ ٢٩٩، وانظر كذلك: تاريخ الطبري ٣/ ٤٤٩.

فقالوا: «أمّنتمونا».
وأخرجوا إلينا السهم، فيه كتاب أمانهم.
فقلنا: «هذا عبد، والعبد لا يقدر على شيء».
قالوا: «لا ندري عبدَكم من حرِّكم، وقد خرجوا[١] بأمان».
قلنا: «فارجعوا بأمان».
قالوا: «لا نرجع إليه أبداً».

فكتبنا إلى عمر رضي الله عنه بعض قصتهم، فكتب عمر رضي الله عنه: «أنَّ العبد المسلم من المسلمين، أمانُه أمانُهم».

قال: «ففاتنا ما كنا أشرفنا عليه من غنائمهم»[٢].

وورد في تاريخ الطبري: فكتب إليهم (أي عمر بن الخطاب رضي الله عنه): «إنّ الله عظّم الوفاء، فلا تكونون أوفياء حتى تفوا. ما دمتم في شك أجيزوهم، وفوا لهم، وانصرفوا عنهم»[٣].

ومما نجده في هذه القصة أنّ المسلمين توقعوا بفضل الله تعالى الظفر بالغنائم بعد محاصرة دامت شهراً، لكن عبداً منهم أمِنهم من غير علم منهم. ولم يكن من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما علم بهذا إلا أمر

---

(١) (وقد خرجوا): قال المحقق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي: لعل الصواب»: وقد خرجنا». (هامش مصنف عبدالرزاق ٥/ ٢٢٣).

(٢) المصنف، كتاب الجهاد، باب الجوار وجوار العبد والمرأة، رقم الرواية ٩٤٠٢، ٥/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣. وروى نحوه الإمام سعيد بن منصور. انظر: سنن سعيد بن منصور، كتاب الجهاد، باب ما جاء في أمان العبد، رقم الرواية ٢٦٠٨، ٢/ ٢٣٣.

(٣) تاريخ الطبري ٤/ ٩٤.

الجيش الإسلامي بإجازة أمان العبد.

وهناك شواهد أخرى كثيرة تدل على اهتمام المسلمين بالوفاء بالعهود مع الأعداء، ولكني أقتصر على ما ذُكر لعلّه يقدّم صورة لتعامل المسلمين أثناء الجهاد مع الأعداء.

* * * *

الخاتمـــة

الحمد لله الذي أنعم على العبد الضعيف إنجاز هذا البحث المتواضع. فله الحمد والشكر والثناء أولاً وأخيراً، ويُرجى بفضله وكرمه قبوله.

وقد توصل الباحث إلى استنباط العِبَر والعظات التالية من إنفاذ أبي بكر الصديق رضي الله عنه جيش أسامة رضي الله عنه:

١ ـ الأحوال تتغير وتتبدل.

٢ ـ الشدائد لا تشغل أهل الإيمان عن أمر الدين.

٣ ـ المسيرة الدعوية لا ترتبط بأحد.

٤ ـ وجوب اتباع النبي الكريم ﷺ.

٥ ـ ضرورة المبادرة إلى اتباع النبي الكريم ﷺ.

٦ ـ نصر المسلمين مرتبط باتباع النبي ﷺ.

٧ ـ لا عصمة لأحد غير النبي الكريم ﷺ.

٨ ـ لا عبرة برأي الأكثرية إذا كان مخالفاً للنص.

٩ ـ حدوث الاختلاف بين المؤمنين الصادقين.

٠ ـ ردّ التنازع إلى الكتاب والسنة.

١١ ـ الخضوع للحق عند وضوحه.

١٢ ـ لا يُسْتَثْنى من الاحتساب أحد.

١٣ ـ استخدام الشدة في الاحتساب في بعض الأحيان.

١٤ ـ العناية بجعل الدعوة مقرونة بالعمل.

١٥ ـ مكانة الشباب في خدمة الإسلام.

١٦ ـ صورة الجهاد الإسلامي.

ويستغلّ الكاتب هذه الفرصة ليوصي إخوانه المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بما يلي :

١ ـ الاعتبار والاتعاظ بما في إنفاذ أبي بكر الصديق رضي الله عنه جيش أسامة رضي الله عنهما من عبر وعظات .

٢ ـ الاهتمام بدراسة مواقف الدعاة السابقين من الأنبياء والمرسلين، وسيدهم عليه وعليهم الصلاة والسلام، ومن الصالحين من سلف هذه الأمة لاستنباط ما فيها من عِبَر وعظات، والاستفادة منها في مجال الدعوة إلى الله تعالى .

٣ ـ تقرير مادة (تاريخ الدعوة) في الجامعات الإسلامية بأرجاء المعمورة نظراً لأَهميتها، وحاجة الأمة عامة، والدعاة خاصة إلى معرفة مواقف الدعاة السابقين والدروس المستفادة منها، اقتداءً بالسياسة التعليمية الرشيدة بالمملكة العربية السعودية حيث تُدرَّس هذه المادة في جامعاتها .

وصلى الله تعالى على نبينا وعلى آله وأصحابه وأتباعه وبارك وسلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المصـــادر والمراجـــع

١ ـ «**الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**»، للأمير علاء الدين الفارسي، ط: مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، بتحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط.

٢ ـ «**أساس البلاغة**» للعلاَّمة جار الله الزمخشري، ط: دار المعرفة بيروت، سنة الطبع ١٤٠٢هـ.

٣ ـ «**الإصابة في تمييز الصحابة**» للحافظ ابن حجر، ط: دار الكتب العلمية بيروت، بدون الطبعة وسنة الطبع.

٤ ـ «**البداية والنهاية**» للحافظ ابن كثير، ط: مكتبة المعارف بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٤م.

٥ ـ «**بذل المجهود شرح سنن أبي داود**» للشيخ خليل أحمد السهارنفوري، ط: دار الكتب العلمية بيروت، بدون سنة الطبع.

٦ ـ «**بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني**» للشيخ أحمد عبدالرحمن البنا، ط: دار الشهاب القاهرة، بدون الطبعة وسنة الطبع.

٧ ـ «**تاريخ الإسلام**» (عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم) للحافظ الذهبي، ط: دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، بتحقيق د. عمر عبدالسلام تدمري.

٨ ـ «**التاريخ الإسلامي**» (الخلفاء الراشدين والعهد الأموي)، للأستاذ محمود شاكر، ط: المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.

٩ ـ «**تاريخ الأمم والملوك المعروف بتاريخ الطبري**» للإمام ابن جرير الطبري، ط: دار سويدان بيروت، بدون سنة الطبع، بتحقيق الأستاذ محمد أبي الفضل إبراهيم.

١٠ ـ «**تاريخ الخلفاء**» للإمام السيوطي، الناشر: مير محمد كتب خانه كراتشي، بدون الطبعة وسنة الطبع، بتحقيق الأستاذ محمد محيي الدين عبدالحميد.

١١ ـ «**تاريخ خليفة بن خياط**»، دار طيبة الرياض، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ، بتحقيق د. أكرم ضياء العُمُري.

١٢ ـ «**تحفة الأحوذي**» شرح جامع الترمذي للشيخ محمد عبدالرحمن المباركفوري، ط: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

١٣ ـ «**تفسير أبي السعود**» المسمّى بـ«**إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**» للقاضي

أبي السعود، ط : دار إحياء التراث العربي بيروت، بدون سنة الطبع .

١٤ ـ «**تفسير القاسمي**» المسمّى بـ «**محاسن التأويل**» للعلاّمة محمد جمال الدين القاسمي، ط : دار الفكر بيروت، الطبعة الثالثة ١٣٩٨ هـ، بتحقيق الشيخ محمد فؤاد عبدالباقي .

١٥ ـ «**تفسير القرطبي**» المسمَّى بـ «**الجامع لأحكام القرآن**» للإمام أبي عبدالله القرطبي، ط : دار إحياء التراث العربي، بدون سنة الطبع .

١٦ ـ «**التفسير الكبير**» المسمَّى بـ «**مفاتيح الغيب**» للإمام فخر الدين الرازي، ط : دار الكتب العلمية طهران، الطبعة الثانية، بدون سنة الطبع .

١٧ ـ «**تقريب التهذيب**» للحافظ ابن حجر العسقلاني، الناشر : دار نشر الكتب الإسلامية ججر انواله، الطبعة الأولى ١٣٩٣ هـ .

١٨ ـ «**التلخيص**» (المطبوع بذيل المستدرك على الصحيحين) للحافظ الذهبي، ط : دار الكتاب العربي بيروت، بدون الطبعة وسنة الطبع .

١٩ ـ «**جامع الترمذي**» (المطبوع مع تحفة الأحوذي) للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى ط : دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ .

٢٠ ـ «**جوامع السيرة**» للإمام ابن حزم، الناشر : حديث اكادمي فيصل آباد، سنة الطبع ١٤٠١ هـ، بتحقيق د . إحسان عباس ود . ناصر الدين الأسد .

٢١ ـ «**حب النبي ﷺ وعلاماته**» لـ فضل إلهي، ط : إدارة ترجمان الإسلام باكستان، الطبعة الحادية عشرة ١٤١٦ هـ .

٢٢ ـ «**الحسبة في العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم**» لـ فضل إلهي، ط : إدارة ترجمان الإسلام باكستان، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ .

٢٣ ـ «**حكم الإنكار في مسائل الخلاف**» لـ فضل إلهي، ط : إدارة ترجمان الإسلام باكستان، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ .

٢٤ ـ «**الدعوة إلى الإسلام**» لـ توماس ـ و ـ آرنولد، ترجمه إلى العربية : د . حسن إبراهيم حسن وعبدالمجيد عابدين وإسماعيل النحراوي، ط : مكتبة النهضة المصرية القاهرة، الطبعة الثالثة ١٩٧٠ م .

٢٥ ـ «**الرحيق المختوم**» للشيخ صفي الرحمن المباركفوري، ط : دار السلام الرياض، الطبعة التاسعة ١٤١٢ هـ .

٢٦ ـ «**روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**» للعلاّمة السيد محمود

الألوسي، ط: دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.

٢٧ ـ «**سنن الدارقطني**» للإمام علي بن عمر الدارقطني، الناشر: حديث اكادمي فيصل آباد، بدون سنة الطبع.

٢٨ ـ «**سنن الدارمي**» للإمام أبي محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، الناشر: حديث أكادمي فيصل آباد، سنة الطبع ١٤٠٤هـ، بتعليق السيد عبدالله هاشم اليماني المدني.

٢٩ ـ «**سنن أبي داود**» (المطبوع مع عون المعبود) للإمام سليمان بن الأشعث السجستاني، ط: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٣٠ ـ «**سنن سعيد بن منصور**» للإمام سعيد بن منصور الخراساني المكي، ط: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، بتحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي.

٣١ ـ «**السنن الكبرى**» للإمام البيهقي، ط: دار المعرفة بيروت، تصوير عن الطبعة الأولى ١٣٥٤هـ.

٣٢ ـ «**سنن ابن ماجه**» للإمام أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه، ط: شركة الطباعة العربية السعودية، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ، بتحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي.

٣٣ ـ «**سنن النسائي**» (المطبوع مع شرح السيوطي وحاشية السندي) للإمام أبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي، ط: دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ.

٣٤ ـ «**سير أعلام النبلاء**» للإمام الذهبي، ط: مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ، بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط.

٣٥ ـ «**السيرة النبوية الصحيحة**» للدكتور أكرم ضياء العمري، ط: مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة، سنة الطبع ١٤١٢هـ.

٣٦ ـ «**السيرة النبوية من مصادرها الأصلية**» للدكتور مهدي رزق الله أحمد، ط: مركز الملك فيصل للبحوث الإسلامية الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٣٧ ـ «**السيرة النبوية وأخبار الخلفاء الراشدين**» للإمام أبي حاتم محمد بن حبان البستي، ط: مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، بتعليق الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء.

٣٨ ـ «**شرح النووي على صحيح مسلم**» للإمام النووي، ط: دار الفكر بيروت، سنة الطبع ١٤٠١هـ.

٣٩ ـ «**الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**» للإمام إسماعيل بن حماد الجوهري، ط: دار

العلم للملايين بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ، بتحقيق الأستاذ أحمد عبدالغفور عطّار.
٤٠ ـ «صحيح البخاري» (المطبوع مع فتح الباري) للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، نشر وتوزيع: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، بدون الطبعة وسنة الطبع.
٤١ ـ «صحيح سنن الترمذي» اختيار الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، نشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، بإشراف الشيخ محمد زهير الشاويش.
٤٢ ـ «صحيح سنن أبي داود» صحّح أحاديثه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، نشر: مكتبة التربية العربي لدول الخليج الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ، بإشراف الشيخ محمد زهير الشاويش.
٤٣ ـ «صحيح سنن ابن ماجه» صحّح أحاديثه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، نشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، بإشراف الشيخ محمد زهير الشاويش.
٤٤ ـ «صحيح مسلم» للإمام مسلم بن حجاج القشيري، نشر وتوزيع: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، بدون الطبعة، سنة الطبع ١٤٠٠هـ، بتحقيق الشيخ محمد فؤاد عبدالباقي.
٤٥ ـ «صفة الصفوة» للإمام ابن الجوزي، ط: دار المعرفة بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ، بتحقيق الشيخ محمود فاخوري وتخريج د. محمد رواس قلعجي.
٤٦ ـ «الطبقات الكبرى» للإمام ابن سعد، ط: دار بيروت، ودار صادر بيروت، سنة الطبع ١٣٧٧هـ.
٤٧ ـ «ظلال الجنة في تخريج السنة» للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط: المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ (المطبوع مع كتاب السنة).
٤٨ ـ «عمدة القارئ» للعلاّمة العيني، ط: دار الكفر بيروت، بدون الطبعة وسنة الطبع.
٤٩ ـ «عون المعبود شرح سنن أبي داود» للعلاّمة أبي الطيب العظيم آبادي، ط: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
٥٠ ـ «غريب الحديث» للحافظ ابن الجوزي، ط: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة

الأولى ١٤٠٥هـ، بتحقيق د. عبدالمعطي أمين قلعجي.
٥١ ـ «**فتح الباري**» للحافظ ابن حجر، نشر وتوزيع: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد الرياض، بدون سنة الطبع.
٥٢ ـ «**الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل**» للشيخ أحمد بن عبدالرحمن البنا، ط: دار الشهاب القاهرة، بدون سنة الطبع.
٥٣ ـ «**فتوح البلدان**» للإمام أبي الحسن البلاذري، ط: دار الكتب العلمية بيروت، سنة الطبع ١٣٩٨، بتعليق الأستاذ رضوان محمد رضوان.
٥٤ ـ «**الكامل في التاريخ**» للإمام ابن الأثير، ط: دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الثالثة ١٣٨٧هـ.
٥٥ ـ «**كتاب السنة**» للحافظ ابن أبي عاصم الشيباني، ط: المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ، (ومعه «ظلال الجنة في تخريج السنة» للشيخ محمد ناصر الدين الألباني).
٥٦ ـ «**مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**» للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، ط: دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ.
٥٧ ـ «**المحلّى**» للإمام ابن حزم، الناشر: مكتبة الجمهورية العربية بالقاهرة، بدون الطبعة.
٥٨ ـ «**مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**» للعلاّمة الملا علي القاري، ط: المكتبة التجارية مكة المكرمة، بدون الطبعة وسنة الطبع، بتعليق الأستاذ صدقي محمد جميل العطار.
٥٩ ـ «**مسؤولية النساء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**» لـ فضل إلهي، ط: إدارة ترجمان الإسلام باكستان، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.
٦٠ ـ «**المستدرك على الصحيحين**» للإمام الحاكم، ط: دار الكتاب العربي بيروت، بدون الطبعة وسنة الطبع.
٦١ ـ «**المسند**» للإمام أحمد بن حنبل، ط: دار المعارف للطباعة والنشر بمصر، الطبعة الثالثة ١٣٦٨هـ، بتحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر.
٦٢ ـ «**مسند أبي يعلى الموصلي**» للإمام أحمد بن علي بن المثنى التميمي، ط: دار المأمون للتراث دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، بتحقق الأستاذ حسين سليم أسد.
٦٣ ـ «**مشكاة المصابيح**» للحافظ ولي الدين محمد بن عبدالله الخطيب المقريزي، ط: المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ، بتحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني.

٦٤ ـ «**مصباح الزجاجة في زوائد ابن حبان**» للحافظ أحمد بن أبي بكر الكناني البوصيري، ط: دار الجنان بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، مع تقديم الأستاذ كمال يوسف الحوت.

٦٥ ـ «**المصنف**» للإمام ابن أبي شيبة، ط: الدار السلفية بومباي الهند، بدون الطبعة وسنة الطبع.

٦٦ ـ «**المصنف**» للإمام عبدالرزاق الصنعاني، ط: المجلس العلمي جنوب أفريقيا، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ، بتحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي.

٦٧ ـ «**معجم البلدان**» للإمام أبي عبدالله ياقوت الحموي، ط: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، بتحقيق الأستاذ فريد عبدالعزيز الجندي.

٦٨ ـ «**المعجم الوسيط**» للأساتذة إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبدالقادر وحمد علي النجار، ط: دار الدعوة تركية، سنة الطبع ١٩٨٠م.

٦٩ ـ «**من صفات الداعية: اللين والرفق**» لـ فضل إلهي، ط. إدارة ترجمان الإسلام باكستان، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.

٧٠ ـ «**موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان**» للحافظ نور الدين الهيثمي، ط: دار ومكتبة الهلال بيروت، بدون الطبعة وسنة الطبع، بتحقيق الشيخ محمد عبدالرزاق حمزة.

٧١ ـ «**الموطأ**» للإمام مالك، ط: عيسى البابي الحلبي وشركاه القاهرة، بدون الطبعة، سنة الطبع ١٣٧٠هـ، بتصحيح وتخريج الشيخ محمد فؤاد عبدالباقي.

٧٢ ـ «**نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر**» للحافظ ابن حجر، ط: قرآن محل كراتشي باكستان، بدون الطبعة وسنة الطبع.

٧٣ ـ «**النهاية في غريب الحديث والأثر**» للإمام ابن الأثير، الناشر: المكتبة الإسلامية، الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ، بتحقيق الأستاذين محمود محمد الطناجي وطاهر أحمد الزاوي.

٧٤ ـ «**هامش صحيح مسلم**» للشيخ محمد فؤاد عبدالباقي، نشر وتوزيع: رئاسة إدارات البحوث العلملية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، بدون الطبعة، سنة الطبع ١٤٠٠هـ.

٧٥ ـ «**هامش المسند**» للشيخ أحمد شاكر، ط: دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة ١٣٦٨هـ.

٧٦ ـ «**هامش المسند**» للشيخين شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد، ط: مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

٧٧ ـ «**هامش مصنف عبدالرزاق**» للشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، ط: المجلس العلمي جنوب أفريقيا، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ.

فهرس الموضوعات

المبحث الثاني
العبر والعظات المستفادة من إنفاذ الصديق جيش أسامة رضي الله عنهما



صدر للمؤلف

١ ـــ التدابير الواقية من الزنا في الفقه الإسلامي — الطبعة الخامسة
٢ ـــ التدابير الواقية من الربا في الإسلام — الطبعة الرابعة
٣ ـــ حب النبي ﷺ وعلاماته — الطبعة الثالثة عشرة
٤ ـــ الحسبة: تعريفها ومشروعيتها ووجوبها — الطبعة السابعة
٥ ـــ الحسبة في العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم — الطبعة الثالثة
٦ ـــ شبهات حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر — الطبعة السادسة
٧ ـــ الحرص على هداية الناس (في ضوء النصوص وسير الصالحين) — الطبعة الخامسة
٨ ـــ من صفات الداعية: اللين والرفق — الطبعة السابعة
٩ ـــ مسؤولية النساء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (في ضوء النصوص وسير الصالحين) — الطبعة الرابعة
١٠ ـــ مفاتيح الرزق (في ضوء الكتاب والسنة) — الطبعة الثامنة
١١ ـــ فضل آية الكرسي وتفسيرها — الطبعة التاسعة
١٢ ـــ من صفات الداعية: مراعاة أحوال المخاطبين (في ضوء الكتاب والسنة) — الطبعة الثالثة
١٣ ـــ اهمية صلاة الجماعة (في ضوء النصوص وسير الصالحين) — الطبعة الثامنة
١٤ ـــ حكم الإنكار في مسائل الخلاف — الطبعة الثانية
١٥ ـــ قصة بعث أبي بكر جيش أسامة رضي الله عنهما (دراسة دعوية) — الطبعة الأولى
١٦ ـــ الاحتساب على الوالدين: مشروعيته، ودرجاته، وآدابه — الطبعة الأولى
١٧ ـــ الاحتساب على الأطفال — الطبعة الثانية
١٨ ـــ السلوك وأثره في الدعوة إلى الله تعالى — الطبعة الثانية
١٩ ـــ فضل الدعوة إلى الله تعالى — الطبعة الأولى
٢٠ ـــ مفاتيح الرزق في ضوء الكتاب والسنة، باللغة الأردية — الطبعة السادسة
٢١ ـــ حب النبي ﷺ وعلاماته، باللغة الأردية — الطبعة الثالثة
٢٢ ـــ قصة بعث أبي بكر جيش أسامة رضي الله عنهما: دراسة دعوية، باللغة الأدية — تحت الطبع